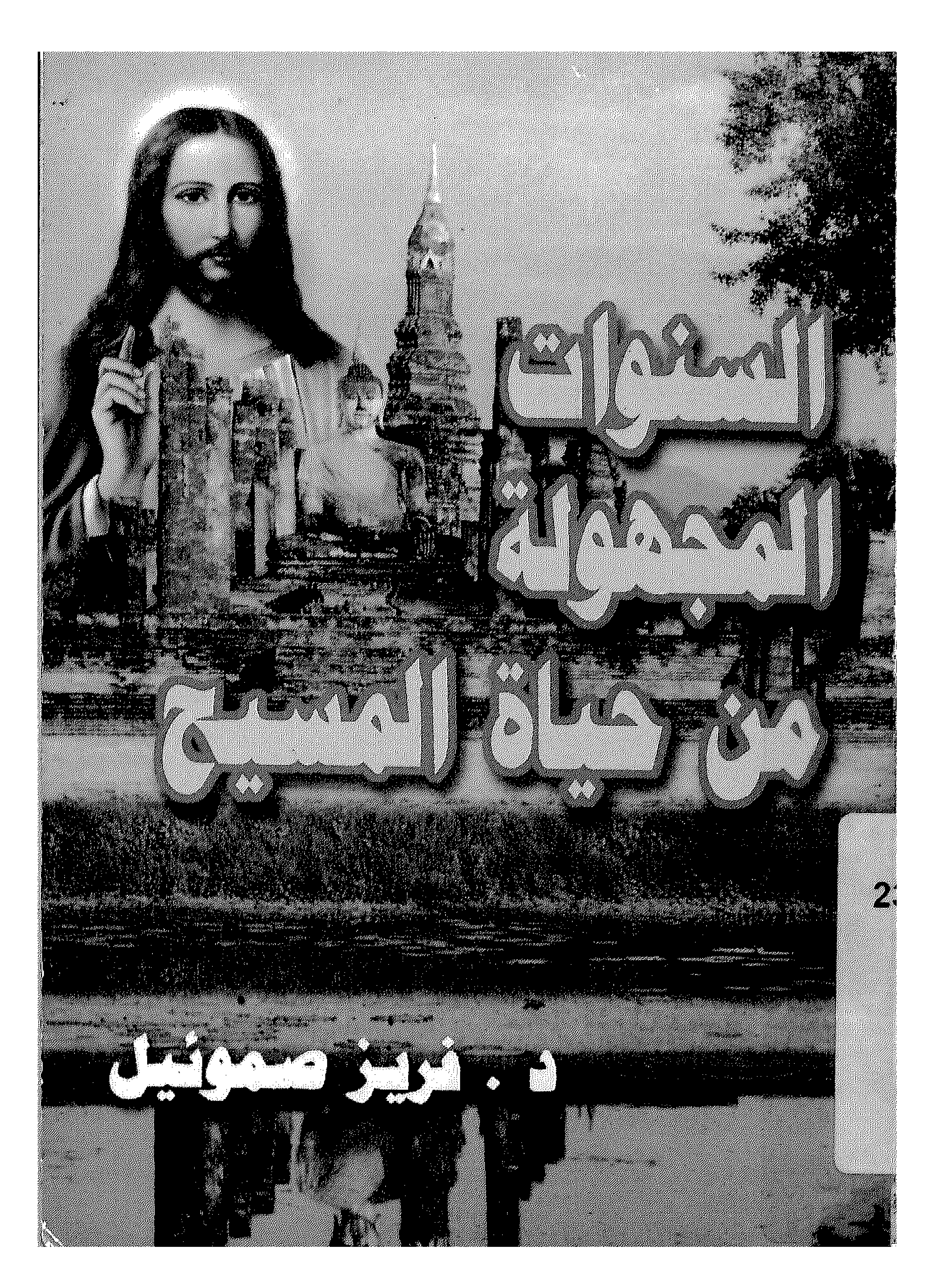

السنوات
المجهولة
من حياة المسيح
د . نزيز صموئيل

اهداءات ٢٠٠٣

الدكتور/ فريز صموئيل

القاهرة

السنوات المجهولة
من
حياة المســـيح

بقلم

د. فريــز صموئيل

رقم الإيداع : ٤٥٤٤/ ١٩٩٦

مطبعة اوتوبرنت

ت : ٥٨٧١٠٠٢

إهـــداء

إلـــى ألفريد ومونيكا وسهير

وإلـــى كل باحث عن الحقيقة

ليكون له نبراساً على الطريق.

للمؤلف

١ - موت المسيح حقيقة أم افتراء؟

٢ - موت أم إغماء.

٣ - قيامة المسيح حقيقة أم خدعة؟

٤ - من هو المصلوب؟ (تحت الطبع).

٥ - إنجيل برنابا بين المؤيدين والمعارضين (تحت الطبع).

تقديم

للدكتور عزت ذكي

كم يسعد قلب الإنسان، أن يلتقي بواحد من الكتابات العلمية الجادة، في مجال الأدب المسيحي، وكم قاست المسيحية، وما زالت تقاسي، من الأقلام السطحية الغثة، والأدب الرخيص، الذي جعلنا ضحكة لدى الكثيرين من خارج الدائرة.

هذا أول ما تبادر إلى خاطري، وأنا أتصفح «السنوات المجهولة من حياة المسيح» للكاتب الناضج د. فريز صموئيل الذي على الرغم من أن هذا باكورة انتاجه الأدبي إلا أنه يبشر بالكثير.

ولقد عرض الكاتب لأحرج الفترات في حياة المخلص، فترة سنوات ما قبل الخدمة الجهارية، وما يحيط بها من تكهنات،

وإرهاصات، دفعت بالكثيرين إلى الشطط، والزلل، وركوب الخطأ.

وقبل الآن لم يظهر أي كتاب في هذا المجال، فما بالك بكتاب علمي، مؤيد بالمراجع والأسانيد، فائض بالإيضاحات والأدلة في هذا الميدان الوعر الشائك. ولقد كان هذا هو المبدأ الذي تمسكت به فيما قدمت من إسهام متواضع في مجال الأدب المسيحي.

إن العالم لم يعد بعد بحاجة إلى أساطير الأولين عن البطل والتنين، وما شابه هذه القصص وما حاط بها، من خيالات وأوهام. لأننا بحاجة -في عصر علمي، يتنفس حضارة علمية- أن نجرد أقلاماً تقرع الحُجة بالحُجة، وتجابه المنطق بالمنطق، وتُفحم الدليل بالدليل، وهذا هو نوع الكتابات التي فاضت بها أقلام الآباء، والتي لولاها لابتُلّعت

المسيحية في خضم الحجج والبلبلات والمهاجمات، التي لم تقف حتى الآن عند حدها.

مثل هذه الكتابات تعرف في المسيحية بالكتابات الدفاعية .Apolegetic ومع أنها تحتاج إلى تركيز فكر، وبذل جهد في استيعابها، إلا أنها خالدة على مر الزمن.

أما حجة أو نظرية كون المسيح استوعب فلسفات الهند ليهضمها، ويعتصرها، ويخرج منها عقيدة المسيحية، فهي مرفوضة في ذاتها، وأذكر أنني قدمت منذ ثلاثين عاماً إشارة إلى هذا الموضوع في كتابي «نحو النور» عن حياة الشاعر المسيحي الهندي تيلاك، في المقدمة التي أشرت فيها إلى الفروق الشاسعة بين المسيحية والهندوسية.

وهناك رأي للكاتب الغربي «چورچ مور»

يؤكد أن المسيح قضى تلك السنوات الخفية من حياته معتزلاً في البرية مع جماعات الأسينيين وهي جماعات رهبانية يهودية، ألقت اكتشافات خرائب قمران في جنوبي البحر الميت الكثير من الضوء على ممارساتها، وأفكارها، وعقائدها. وفي كتابي «الأحجار تتكلم» ألقيت الضوء على الفروق القوية الواضحة في حياة المسيح، وتعاليمه. التي تقف على النقيض من ممارسات الأسينيين، وعقائدهم وتعاليمهم.. وقد أفاض صديقنا في هذا المجال في إظهار الفروق بين الأسينية والمسيحية.

والآن تكفي هذه السطور للتعريف بالكاتب المبدع وعمله الرائع، واترك الفرصة للقاريء العزيز للدراسة والاستمتاع.

وليبارك الرب كل مجهود يبذل لمجد المسيح.

مقدمة

لقد تحدث الكتاب المقدس عن طفولية المسيح، فقد بُشر بميلاده (لو١: ٢٦ - ٢٧)، ثم ذهب إلى مصر ومنها رجع مع يوسف ومريم أمه وسكن في الناصرة (مت ٢: ٢٧)، وكان يذهب إلى أورشليم في كل سنة حتى الثانية عشر من عمره (لو٢: ٣٩ - ٥٢)، وفي الناصرة كان يذهب إلى المجمع يوم السبت (لو ٤: ١٦)، ثم بدأ المسيح خدمته الكرازية العلنية في الثلاثين من عمره (لو ٣: ٢٣).

ولم يذكر الكتاب المقدس شيئاً عن الفترة من الاثني عشر إلى الثلاثين من عمره، مما دفع بالكثيرين أن يتساءلوا، أين قضى المسيح هذه الفترة من عمره؟

قال أحدهم: «ارتفع في الهيكل صوت غلام

لا يتجاوز الاثنى عشر يعظ الناس بفصاحة، وفهم صحيح، وعلم غزير وحجة قوية، وجرأة نادرة، ومنطق سليم، ويقول عن نفسه أنا المسيح المنتظر ملك إسرائيل، هذا ما نرى في الإنجيل، ولم نعد نسمع له صوتاً حتى بلغ الثلاثين، ولا ندري كيف وأين سلخ هذه الأعوام الثمانية عشرة، وقد بحثنا كثيراً فلم نحظ بجواب شاف».(١)

وإزاء صمت الكتاب المقدس، قال البعض إن المسيح قضي هذه الفترة في دير بوذي في الهند. وقال البعض الآخر بل مع الأسينيين في وادي قمران .

فلذلك قمت بدراسة هذا الموضوع، وإليك قارئي العزيز خلاصة هذه الدراسة راجياً أن تجد فيها جواباً مقنعاً.

الفصل الأول

المسيح في الهند

يقول أصحاب هذا الرأي أن المسيح قضى هذه الفترة في أحد أديرة البوذية في الهند، وأول من ابتدع هذه النظرية هو (نقولا نوتوفيتش)[2] حيث فاجأ العالم بادّعائه هذا في كتابه «حياة المسيح المجهولة» سنة ١٨٩٤م وفيه قال: إنه ـ أي الكاتب ـ سافر إلى الهند وحل في دير من أديرة الرهبان البوذيين وهناك تعلم اللغة السنسكريتية،[3] وأن رهبان الدير البوذيين أطلعوه على إنجيل كتبه السيد المسيح بخط يده، حين زار بلادهم وأقام عندهم، واقتبس مبادئهم البوذية وروى الكاتب أنه نسخ هذا الإنجيل،

وعاد به إلى أودسا حيث طُبع. وأراد أن ينشره باللغة الفرنسية، فذهب إلى باريس وتعرف على الكاتب الفرنسي الشهير «أرنست رينان» وسرد على مسمعه قصة رحلته إلى الهند وعثوره على الإنجيل، ولما طلب منه رينان الاطلاع عليه، أجابه: ستراه عند طبعه.

أما فحوى هذا الكتاب فهو الزعم بأن يسوع زار الهند وهو في الثانية عشرة من عمره، وتفقه بكل تعليم بوذا، ولما عاد إلى بلاد اليهودية أذاع هذه التعاليم على الشعب.

وما كاد إنجيل نوتوفيتش يظهر في عالم المطبوعات، حتى سلط عليه النقاد أقلامهم، وفندوا ما جاء فيه من مفتريات وأكاذيب، وخاصة الفيلسوف الفرنسي «رينان»، والعالم الألماني «فالكي»، فأثبتوا أن رحلة

نوتوفيتش المزعومة إلى الهند ما هي إلا من مبتكرات خياله، وأن حكاية الإنجيل هذه من قبيل الأساطير.

وأثبت العالم «دوجلاس» أن الكاتب نوتوفيتش مُختلق، وأن إنجيله كاذب ولا أثر له في الوجود، وقد كتب العالم الألماني «ماكس مولر»(٤) -الذي كان قد أقام عدة سنوات في دير لاسا، ذلك الدير الذي ادّعَى نوتوفيتش أنه وجد فيه إنجيله- كتب هذا العالم في «مجلة القرن التاسع عشر» «إنه لم يعثر على شيء مما قاله الكاتب الروسي، وكتب إلى رئيس هذا الدير. كيف أحل بين رهبان ديركم زمناً طويلاً دون أن تطلعوني على ذلك الإنجيل؟ فأجابه رئيس الدير بخطاب جاء فيه: إننا لم نر نوتوفيتش هذا، ولا عرفنا ولا سمعنا به، ولم تطأ رجلاه ديرنا، كما أننا لا

نعرف عن الإنجيل الذي ينسبه إلى مكتبتنا شيئاً ».

وهكذا تنكشف أكذوبة هذا الكاتب الروسي.

وقبل تفنيد هذا الادّعَاء، أضع أمامك قارئي العزيز هذه التساؤلات:

- إذا كان المسيح قد كتب هذا الإنجيل، فما الذي دعاه لترك هذا الإنجيل في ذلك الدير؟ وهو الذي يعد نفسه للتبشير بعهد جديد في بلاد اليهودية.

- لو فرض أن رهبان الدير منعوه من أخذه وأبقوه عندهم، فما الذي منع المسيح من كتابة إنجيل مماثل بعد عودته إلى وطنه وبدء رسالته في فلسطين؟ لماذا لم يكتب بيده إنجيلاً مماثلاً كما فعل في الهند؟ بل ترك هذه المهمة إلى تلاميذه.

- هل هناك دليل على أن المسيح قد عرف اللغة السنسكريتية، التي كان يتحدث بها البوذيون في ذلك الوقت؟

الرد على هذا الرأي :

(١) لا يوجد في كتب الهنود ما يؤيد هذا الرأي

فعندما وُجه إلى المعلم الهندي «مهراج بابا سوان سنج جيء» (١٨٥٨ - ١٩٤٨م) هذا السؤال «هل جاء المسيح إلى الهند؟»

قال: «لا أظن أن هناك ما يؤيد هذه الرواية، ولو أن سكان جنوب الهند يعتقدون أنه جاء ومكث بينهم بضع سنوات».(٥)

وأما الادّعَاء بأنه يوجد في سرنجار بكشمير بالهند قبر، يقال إنه قبر عيسى، فهذا يتعلق بادّعاء ذهاب المسيح إلى الهند

بعد الصليب، وهذا ما سوف نناقشه في كتاب آخر.(٦)

(٢) لا يوجد في كتب اليهود ما يؤيد هذا الرأي

لقد جاء في العهد القديم نبوات واضحة تعلن الكثير من تفاصيل حياة المسيح، من التجسد حتى القيامة ولكن لم تأت نبوة قط عن مغادرة المسيح للناصرة أو ذهابه إلى الهند أو أي دولة أخرى.

ففي العهد القديم نجد نبوات عن أن المسيح سوف يأتي من سبط يهوذا (تك ٤٩: ١٠)، وأنه يُولد من عذراء (إش ٧: ١٤)، ويُولد في بيت لحم (ميخا ٥: ٢)، وزمن ميلاده (دا ٩: ٢٥)، وكونه نبياً مثل موسى (تث ١٨: ١٥ - ٢٢)، ورفضه من اليهود (إش ٥٣: ٣، مز ٢: ٢)، ودخوله الانتصاري إلى أورشليم (زك ٩: ٩)، وخيانة تلميذه له (مز ٤١: ٩)، وبيعه بثلاثين

من الفضة (زك ١١: ١٢ - ١٣)، وصمته أمام اتهامات الشهود الكذبة (إش ٥٣: ٧،مز ٣٨: ١٣)، وآلامه الكفارية (إش ٥٣: ٤ - ١٢)، وثقب يديه ورجليه (مز ٢٢: ١٦)، وطعنه بالحربة في جنبه (زك ١٢: ١)، وصلاته لأجل أعدائه (إش ٥٣: ١٢، مز ١٠٩: ٤)، وصلبه مع أثمة (إش ٥٣: ١٢)، وإلقاء القرعة على ثيابه عند الصليب (مز ٢٢: ١٨)، وعدم كسر أي عظم من عظامه (مز ٣٤: ٢)، ودفنه (إش ٥٣: ٩)، وقيامته (مز ١٦: ١٠)، وصعوده (مز ٦٨: ١٨).

ورغم هذا الكم الهائل من النبوات لم تأت أي نبوة عن ذهابه إلى الهند، رغم أهمية هذا الحدث، هذا مما يؤيد أنه ادّعَاء كاذب ولا نصيب له من الحقيقة.

● بل أن كتب اليهود الأخرى مثل التلمود (البابلي أو الأورشليمي)، رغم قلة ما ذكرته عن المسيح ما كانت تستطيع

أن تهمل هذا الذهاب، لو كان قد حدث فعلاً، لأنه يخدم أغراضها الهجومية على المسيح.

● إن المؤرخين اليهود -الذين أرخوا تاريخ اليهودية إبّان فترة حياة المسيح- مثل يوسيفوس(٧) لم يذكروا شيئاً عن هذا الموضوع.

(٣) لم يذكر كتّاب العهد الجديد (الأناجيل والرسائل) لا صراحة ولا ضمناً، أي شيء عن مغادرة المسيح أرض فلسطين وذهابه إلى الهند، وما كان لهم أن يهملوا تسجيل هذا الأمر وهو ليس بالهين، وقد سجل لنا البشير متى (مت ٢: ١٣ - ٢٢) عن المرة الوحيدة التي غادر فيها المسيح فلسطين وهو طفل صغير مع يوسف ومريم أمه وذهبوا إلى مصر، فإذا كان المسيح قد ذهب إلى الهند فما الذي دعى كتّاب العهد الجديد

إهمال تسجيل هذا رغم أنه أكثر أهمية وخطورة من الذهاب إلى مصر الذي دونوه.

(٤) «هل هناك ما يدعو السيد المسيح إلى أن يسافر إلى بلاد الهند، هل كانت تعوزه حكمة. أم كانت تنقصه معرفة؟ ألم يكن وهو في سن الثانية عشرة موضع دهشة العلماء وحيرتهم؟ إذ كان في الهيكل جالساً في حلقة العلماء يستمع إليهم ويسألهم. وكان كل الذين يسمعونه مدهوشين من علمه وأجوبته» (لو ٢: ٤٦ - ٤٧).(٨)

هل كان يحتاج وهو يهودي أن يعرف الله من الهنود؟ وفي أورشليم الهيكل، وكل معلمي اليهود، هل يحتاج أن يقرأ كتب الهنود (الڤيدا وشروحها) ومعه التوراة كتاب الله؟ هل يحتاج إلى تعليم وهو معلم المعلمين؟ وفي موعظته على الجبل بهتوا من تعاليمه (مت ٧: ٢٨).

(٥) أسلوب المسيح في كرازته لا يظهر فيه أي أثر أجنبي، فلا طريقة الكرازة، ولا موضوع الكرازة بهما أي أثر لفكر هندي ولا لأي دين هندي (هندوسية أو بوذية أو جينية)، بل أن أسلوب الدعوة أسلوب يهودي وتعاليم المسيح وأمثاله تظهر فيها مسحة البيئة والديانة اليهودية.

يقول ميخائيل نعيمة: «لو صح ذلك -أي ذهاب المسيح إلى الهند- لكان لي أو لغيري أن يشتم في كرازة المسيح شيئاً من ..كريشنا وفيشنو أو من بوذا.. ولكن المسحة الطاغية في الأناجيل هي عبرية بحتة: موسى وشريعة موسى، إبراهيم، إسحق، يعقوب، أنبياء إسرائيل وبخاصة داود، سليمان، السبت، الفصح، الهيكل، الكهنة، الفريسيون، الكتبة، العشارون.... الخ. يبدو من كل ذلك أن يسوع تثقف ثقافة عبرية

بحتة، وأنه لم يكن له أي إلمام بأي ثقافة غيرها. إذن فهو لم يبرح أرض فلسطين، ولم يتقن من اللغات غير العبرية، وغير السريانية، الآرامية التي كانت اللغة المحكية في ذلك الزمان والتي بها كان يخاطب تلاميذه والجماهير ».(٩)

وليس هناك أي دليل على أن المسيح قد عرف لغات الهند.

فلو كان المسيح قد ذهب إلى الهند وقضى بها فترة ثمانية عشرة عاماً -كما يدّعون- لكان قد ظهر تأثير هذا في أسلوبه وتعليمه، أو كان قد ذكر شيئاً عن الفلسفة والحكمة الهندية، أو ذكر شيئاً عن معلمي الهند (مثل مهاويرا سدهارتها مؤسس الچينية أو بوذا مؤسس البوذية) أو ذكر شيئاً عن الكتب الدينية الهندية (الڤيدا - الأوبنيشادات)، أو ذكر شيئاً عن العقائد الهندية مثل الكارما

وتناسخ الأرواح أو النرفانا وغيرها من العقائد الهندوسية الأساسية.

ولكن لم يحدث أي شئ من هذا مما يدل على أن هذا الادّعَاء لا يرتكز على أي دليل من الحقيقة.

(٦) إن كتب التاريخ(١٠) التي تحدثت ولو باختصار عن المسيح، لم تذكر شيئاً عن ذهاب المسيح إلى الهند مثل تاسيتوس (المؤرخ الروماني المشهور، الذي كتب تاريخ الامبراطورية الرومانية منذ موت أوغسطس قيصر سنة ١٤م إلى موت نيرون سنة ٦٨م وقد تحدث عن المسيح في الفصل الخامس عشر من مجلده) وأيضاً لوسيان أعظم كتَّاب اليونان تحدث في كتابه « موت بيريجونيون » عن المسيح ولم يذكر شيئاً عن هذا الموضوع.

والآباء المسيحيون الذين عاشوا في القرون الأولى للمسيحية مثل «أغناطيوس أسقف أنطاكية (القرن الأول الميلادي)، بوليكارب أسقف أزمير (القرن الثاني)، ترتليان أسقف قرطاجنة (القرن الثاني) ويوستينوس وغيرهم وقد ذكروا الكثير وبالتفصيل عن حياة المسيح وتعاليمه لم يذكروا شيئاً عن ذهاب المسيح إلى الهند، الذي إذا كان قد حدث ونفترض أن كتَّاب العهد الجديد لم يدونوه فلابد أنه وصل إلى أسماعهم بالتواتر (الانتقال الشفوي عبر السنين).

(٧) إن تفاصيل حياة المسيح كانت معروفة لدى اليهود، وخاصة في الناصرة، حيث عاش الفترة السابقة لبدء كرازته (لو ٤: ١٦)، وقد عرفته الجموع بأنه يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل (مت ٢١: ١١) بل أن

المسيح قد رُفض في الناصرة «مت ٤: ١٣، ١٣: ٥٤ – ٥٨، مر ٦: ١ – ٦، لو ٤: ٢٨ – ٣١) وفي الناصرة مارس حرفة النجارة (مت ١٣: ٥٥، مر ٦: ٣).

وعندما بدأ المسيح كرازته اتهمه اليهود بأشد الاتهامات وقالوا إنه به شيطان (لو ٨: ٤٨)، وأنه سامري (يو ٨: ٤٨)، بل كانوا يحاولون أن يتصيدوه بكلمة.

فلو كان المسيح قد ذهب إلى الهند لكان هذا موضع اتهام للمسيح ولا سيما وأنه يهودي واليهود قوم متعصبون لديانتهم، محتقرون لغيرهم من الأمم الأخرى.

(٨) «في إنجيل لوقا ٤: ١٦ يقول عن المسيح «ذهب إلى المجمع كعادته يوم السبت» مقرراً بهذا أن ذهاب المسيح إلى المجمع في كل يوم كان عادة، والعادة لا تُسمى كذلك،

إلا إذا كانت عملاً يتكرر، ولابد أن هذه العادة تنسحب على الفترة قبل الثلاثين، لأنه بعد الثلاثين لم يكن المسيح يقيم في مدينة بعينها، بل كان يطوف بكل المدن والقرى يعلم في مجامعهم (مت ٩: ٣٥، ٤: ٢٣، لو٤ : ١٤ – ١٥، لو ١٣: ١٢، مر ١: ٢١، ٣٩، مر ٦: ٦).(١١)

بل أن المسيح رُفض في الناصرة بعد بدء كرازته «فبعد التجربة كان عليه أن يرحل الآن بعد أن ظل في البرية أربعين يوماً إلى بلدة «الناصرة» ليجابه أمه وإخوته بما قرّ عليه عزمه ثم يفارقهم الفراق الأخير إلى كفر ناحوم، وبينها وبين الناصرة مسيرة نهار واحد... أنه لم يختر الناصرة التي شب فيها وترعرع لأنها بلده وهو يؤمن بأن كل نبي غريب في وطنه، وأن سكان الناصرة لا يعرفون عنه إلا أنه نجار،

فمن العسير اقناعهم بأنه نبي أو رسول.(١٢)

(٩) إن القائلين بهذه النظرية يستندون على:

١ - أن الكتاب المقدس قد صمت عن هذه الفترة وهذا ما سوف نناقشه في نهاية هذا البحث.

٢ - أن هناك تشابهاً بين أديان الهند والمسيحية.

الرد

«مع انتشار المسيحية، التقت بديانات الشرق الأقصى، وقامت بنقل تراثها الديني وترجمته، ففي سنة ١٧٧١ م عاد «اكتيل دن برن» من رحلاته في الهند، بنسخة أصيلة نادرة من الآفستا،× قام بترجمتها، ولكن عند

× الآفستا: كتاب الديانة الزرادشتية المقدس، ينسب جزء منه يعرف بالـ (جاثا) Ghata إلي زرادشت مؤسس هذا الدين (الديانة الفارسية التى انتشرت فى ايران)

ظهورها، أصيب المتحمسون لها، بخيبة أمل كبرى، عبّر عنها «سير وليام» بالقول: «أما أن زرادشت لم يكتب هذا الهراء، أو أنه كان مختل العقل».

ومن قبل ذلك وقف علماء أوربا وعلى رأسهم فولتير، في ترقب وحماس، حينما قام «روبرتو دي نوبيلي» بترجمة «الڤيدا»× الأصلية نقلاً عن براهمة ماديورا، التي قال عنها أحد الفلاسفة حينذاك «هنا على الأقل سوف نقدم ما يوازي الإنجيل أو يفوقه، لكن ذلك المفكر انطفأ حماسه حينما ظهرت ترجمة كتب الهندوس المقدسة.

× الڤيدا: من كتب الهنود المقدسة، وكلمة «ڤيدا» تعنى علم أو قانون أو معرفة وتتكون الفيدا من:

١ – ريج ڤيدا Rig Veda
٢ – ياجور ڤيدا Yajur Veda
٣ – ساما ڤيدا sama Veda
٤ – آثارفاڤيدا Athrava Veda

- أما الحفريات، وعلى الأخص التي أُكتشفت في مناطق الشرق الأوسط، في وادي دجلة والفرات، فقد ألقت الكثير من الضوء، على أفكار الأشوريين والبابليين، وديانتهم. ولا ينبغي والحق يقال أن يتولانا الجزع حينما نقرأ نظائر لناموس موسى في شريعة حمورابي،× أو مشابهة لقصة الخلق في كتابات الأشوريين، فنحن نؤمن أن نور الوحي الذي أشرق في تمامه في أنبياء العبرانيين لابد وأن أشعة منه، قد وصلت إلى تلك العصور السحيقة، وعن طريق كتاب الله في العقل، وفي الطبيعة، ولابد أن

× شريعة حمورابى: حمورابى من ملوك الدولة البابلية (فى العراق)، فى القرن الحادى والعشرين قبل الميلاد تقريباً، وضع قانون يحتوى علي ٢٨٥ مادة ينظم كل شئون الحياة، وقد اكتشف سنة ١٩٠٢ منقوشاً علي مسلة حجرية بالخط المسمارى وهذه المسلة محفوظة فى متحف اللوفر بباريس (العراق وما توالي عليه من حضارات. د.حسن عون)

الإنسان قد وصل إلى أسمى حالاته إلى اشراقات خاطفة من النور الذي أشرق في ملء الزمان.

وعن غير تحيز نقول: إن المسيحية هي من نسيج جديد فريد وحتى إذا قورنت بالمذاهب الفكرية القديمة، على الرغم من أن تلك المذاهب قد طبعت طابعها القوي على المجتمع، قديمه وحديثه، نستطيع أن نثبت النقاط التالية:

- أنه لا وجود لحق قديم، لا يتلمع بصورة أسمى في كيان المسيحية العظيم.

- أن المسيحية لم تقترض أي حق من الديانات الأممية التي وُجدت قبلها.

- أن كل دين عدا المسيحية -ونحن نتحدث هنا عن المسيحية في المنبع- يختلط فيه الحق مع الخطأ، ويسير فيه

النور مختلطاً بالظلام، والمفكر العاقل غير المتحيز، أصدق حكم على ذلك».(١٣)

مع بداية القرن الثامن عشر وانتشار مدارس النقد العصرية التي كرّست كل جهدها للهجوم على المسيحية والكتاب المقدس، كان من ضمن وسائل هذا الهجوم الادّعاء بأن المسيحية قد اقتبست تعاليمها من ديانات الشرق بل تطور هذا الأمر ليشمل كل شيء.

ففي مجال الفلسفة ادعوا أن كل ما علّم به فلاسفة اليونان العظماء مثل أرسطو وفيثاغورث وأفلاطون وأيضاً فلاسفة العصر الحديث مثل كانط وشوبنهاور، ادعوا أن كل تعاليمهم مأخوذة من فلسفة الهند.

فالعلامة الألماني جوئرس(١٤) Gorres (١٧٧٦ - ١٨٤٨م) وغيره كانوا يرون أن

الأسكندر الأكبر اقتنى عند هجومه على الهند بعض المصنفات في الفلسفة والمنطق وأرسلها إلى أستاذه أرسطو، وهو اقتبس ما فيها ورتبه ونظمه في فلسفته ومنطقه.

وروى الفيلسوف الروماني أبولائيوس(١٥) أن فيثاغورث سافر إلى الهند، وتعلم الفلسفة فيها، وقد صرح الكاتب اليوناني الشهير كليمنت الأسكندري(١٦) إن اليونان سرقوا الفلسفة من البرابرة، فنظريات أفلاطون عن الله ووحدانيته، وأوصافه الذاتية، والمادة، والعالم، وخلود الأرواح في جوهره الأصيل هندي.

ويقولون إن الفيلسوف الألماني شوبنهاور (١٧٨٨ - ١٨٦٠) قد أسس معظم فلسفته على أفكار الأوبنيشاد× والڤيدانتا× والبوذية.

وبرهن المحقق الأمريكي الأستاذ ميلا،(١٧)

× أوبانيشاد ، ڤيدانيا من كتب الديانة الهندوسية.

أن عـقـيـدة وحـدة الوجـود التـي نادي بـهـا الفـيلسـوف اليـهـودي الهـولندي أسـبـينوزا (١٦٣٢ - ١٦٧٧ م) مـأخـوذة عن الـفـلسـفـة الهندية.

وعندما رأى البـعض التـشابه الفكري بـين «شـانكار » والفـيلسـوف الألماني إيمانـوئيل كانط Immanual Kant قـرّ فـي أذهانـهم أنـه قـد أطلع على آراء الفيلسوف الهندي في صـورة أو أخرى. ويرى الأستاذ فؤاد محـمد شبل « إن هذا قـول مبـتر لبـعد الشقة والزمن بـينهمـا من ناحـيـة، وأن آراء شـانكار قـد حُـررت بالسنسكريتـيـة ولم تُتـرجم إلى أية لغـة أوروبية إلا بعد عصر كانط »(١٨)

وهكذا اعتقد بالنسبة لكل الفلاسفة الذين سبقوا.

أنهـا مـوجـة قـد انتـشـرت في الـغـرب في

القرن الثامن عشر، وهكذا أيضاً بالنسبة للمشابهات بين الديانة المسيحية وأديان الشرق.

ويرى الأستاذ العقاد «أن نشوة العلم الجديد -علم المقابلة بين الأديان- هي التي دفعت أصحابها في القرن الثامن عشر إلى تحميل المشابهات والمقارنات فوق طاقتها.(١٩)

بل أن المقارنة بين التفكير اليوناني، والتفكير الهندي، ليست في صالح التفكير الهندي بالمرة، ويرى د. محمد عبد الرحمن مرحبا «أن التفكير الهندي، رغم مزاياه العظيمة ورغم جاذبيته وتأثيره العميق في التفكير اليوناني، ثم في طرق التفكير في القرون الوسطى الإسلامية والمسيحية، بل ورغم استمرار هذا التأثير في العصر الحديث. أقول رغم هذا كله يختلف اختلافاً

جذرياً عن التفكير اليوناني، وبالتالي لا يصلح أن يكون أساساً لفلسفة عقلية إيجابية معطاءة. وإذا نحن ترجمنا هذا التفكير إلى لغة الوجود والمعقولية، قلنا إنه ينكر الوجود والواقع والشخصية الإنسانية، ويساهم بذلك في تعطيل الملامح الرئيسية للتفكير الفلسفي كما برز عند اليونان، دون أن يقدم له عناصر جديدة أو يغذوه بدم يمنحه الحياة والنمو. ولكي ندرك أي خطر كانت ستتعرض له الإنسانية لو أنها انساقت في تيار النحلة الهندية فما علينا إلا أن نقارن بين ما أنجبه نمط التفكير اليوناني وما أتى به التفكير الهندي.

فإن التفكير اليوناني قد وهب التفكير الإنساني جميع المعاني العقلية الأساسية وجهاز العمل الكامل -المنطقي والوجودي-

مما مكننا من تحقيق ذلك التقدم الرائع الذي تشهد به كل يوم خمسة وعشرون قرناً من التاريخ. أما التفكير الهندي فإنه على الرغم مما فيه من بصيرة عميقة وغنى في الحدس لم ينضب معينه، إلا أنه لم يصل قط إلى التعبير عن ذاته في صورة ذهنية وفي مذهب متماسك مترابط قابل للنمو والعطاء يجمع بين الحقيقة والحياة ويساعد على التقدم، كما فعلت الحكمة اليونانية، والعلم اليوناني والفن اليوناني، فلقد نُكب منذ البداية بمذهب وحدة الوجود وأتلفته أوهام الكشف والذوق، فنكص على عقبيه وشُل عن الحركة وضلّ سواء السبيل. والخلاصة أن التفكير الهندي قد حطم الإنسان وهو يدعي تأليه الإنسان!!».(٢٠)

وهكذا بالنسبة للتشابه، أو ما يدّعون أنه

تشابه بين المسيحية وأديان الهند فهو تيار جارف قد انتشر في الغرب، خاصة في ألمانيا وهولندا، مع انتشار مدارس النقد العصرية للمسيحية وللكتاب المقدس كرد فعل للجهل الديني الذي انتشر في أوربا في العصور المظلمة، وكتيار إلحادي مادي، حاول أن يُفرغ المسيحية من كل شيء، وينسب تعاليمها وعقائدها إلى أديان سابقة، أي يريد أن يقول: أي فضل للمسيحية ومؤسسها، فكل ما فيها مقتبس مما سبق، وحياة مؤسسها مثل حياة بوذا وكريشنا وغيره وعن هذا الفكر الغربي ينقل كثير من الكتَّاب دون ذكر الردود التي نُشرت وفندت هذا الفكر وأثبتت زيفه وبطلانه.

ويرى الأستاذ العقاد «إن نشوة العلم الجديد -علم المقابلة بين الأديان- هي التي دفعت أصحابها في القرن الثامن عشر إلى

تحميل المشابهات والمقارنات فوق طاقتها..
وقد تعب أصحاب المقارنات والمقابلات في اصطياد المشابهات هنا وهناك، ولم يكلفوا أنفسهم جهداً فيما أولى بالجهد والاجتهاد، وهو استخدام المقارنات والمقابلات لاثبات سابقة واحدة مطابقة لما يفرضونه عن نشأة المسيحية، فمتى حدث في تاريخ الأديان أن أشتاتاً مبعثرة من الشعائر والمراسم تُلفق نفسها وتخرج في صورة مذهب مستقل دون أن يعرف أحد كيف تلفقت وكيف انفصلت عن عبادتها الأولى؟ ومن هو صاحب الرغبة وصاحب المصلحة في هذه الدعوة؟ وأي شاهد على وجوده في تواريخ الدعاة المعاصرين لسنة الميلاد».(٢١)

ويجب علينا كمسيحيين أن لا نخشى مثل هذه المقارنات والمقابلات بل لندرس ونفكر

ونكون «مستعدين دائماً لمجاوبة كل من يسألكم عن سبب الرجاء الذي فيكم» (١بط ٣: ١٥).

ويرى د. عزت ذكي «أن العقليات السطحية، ترى مشابهات بين المسيح وبين مؤسسي الأمبراطوريات وآلهة الديانات، ولكن هذه المشابهات لا وجود لها على الإطلاق، لأن يسوع المسيح يعلو عليها جميعاً، علو الأبدية على الزمن. أن يسوع المسيح، يشترك مع غيره في بعض أوجه الحق، ولكن فيه يظهر الحق في وحدة متكاملة بينما في غيره من الحكماء يبدو الحق في صورة مهتزة محطمة.

فالأخلاقيات الطبيعية ليست في صدام مع المُثُل المسيحية، وإيماننا بالأسمى، لا يدفعنا إلى التخلي عن الأمل، وما جاء المسيح

لينقض، بل ليكمل الحق، في كافة من سبقوه في دوائر الدين والحكمة.

يقول يوستينوس الشهيد: إن كل ما نادى به الحكماء عن صدق وحق هو ملك لنا نحن المسيحيين، لأن المسيحية تقوم أيضاً إلى جوار حق مسيحها، على دعائم التراث القديم، لذلك ليس من الغريب أن نقول: إن المسيح يمتلك أسمى ما في تعاليم الطبيعة، والعقل البشري، ليطوره، ويضفي عليه نوراً جديداً، ويزيد في سموه، أنه يوحد كل الأشعة في نوره العظيم، كما تركز العدسة الزجاجية أشعة الشمس ،كما يعطينا الحق الجديد، هكذا يشع المسيح على ناموس الطبيعة بنور جديد، وما خفي قديماً على الحكماء والفهماء قد أصبح الآن ملكاً مشاعاً للجميع.... أن الباحث المسيحي ينبغي أن يرفع قلبه بالشكر لله، لأن علم مقارنة الأديان وقد

أصبح ملكاً مشاعاً للجميع، فهو يتجه إلى روح الدين. إلى فلسفة الأديان. ومع أن البعض يخشى الانتقاص من صورة المسيحية وتفردها، وجلالها، حينما توضع جنباً إلى جنب مع غيرها من الديانات ويخشى أن يقلل هذا من جلال المسيح، حين نضعه بجوار الفلاسفة أو المصلحين، ولكننا نقول: إن الأفضل لنا، أن تتسع أفاق فكرنا، لنبحث ونتعب وندرس ونقارن وما ذلك إلا ليزيد نور المسيح لمعاناً وتزيد المسيحية سمواً في أعيننا».(٢٢) ونحن لا نخشى نور الفحص والعلم بل أن عشرين قرناً من النقد والهجوم، لم تنتقص ذرة من قوة المسيحية وتفردها وسلطانها، وكما يقول الأسقف «جور»: «فإن المسيحية تنفرد على كافة الأديان، لأن من مسيحها تتمثل أصدق وأسمى وأنقى تطلعات النفس البشرية وأهدافها في الحياة الفاضلة».(٢٣)

وحيث أننا سندرس موضوع المشابهات والاقتباسات في كتاب آخر،(٢٤) نكتفي هنا بهذا. ونضع أمام القاريء سؤالاً: لماذا لا يكون العكس؟ أي أن هذا التشابه قد انتقل من المسيحية إلى أديان الهند، ولاسيما أن المسيحية قد عرفت طريقها إلى الهند في القرن الأول الميلادي*، وأن هذه المشابهات قد جاء معظمها في كتب الهند المتأخرة. وأؤيد كلامي هذا بدليلين:

(١) «حدث في خلال القرن الثامن عشر أن ضابطاً إنجليزياً كان يعمل في شركة الهند الشرقية، قرر منح مكافأة مالية لمن يدله

× فقد ذهب القديس برثلماوس إلي الهند علي مايروى سقراط فى كتابه (تاريخ الكنيسة ١٩/١). وقد ترك عندهم إنجيل متي. وقد أحضره معه إلي الأسكندرية القديس بنتينوس رئيس المدرسة اللاهوتية بعد أن قام برحلته الموفقة إلي بلاد الهند فى القرن الثانى (نحو سنة ١٨٠م) على مايقول المؤرخ يوسابيوس فى كتابه (تاريخ الكنيسة ٥/١٠ :٣) جريدة وطنى عدد ١٧٠٨ في ٩٤/٩/١٨ ص ٢ مقالة تحت عنوان«القديس برثولماوس الرسول» للأنبا غريغوريوس.

على روايات في الكتب السنسكريتية الخاصة بالديانة الهندوسية أو البراهمية تشبه الروايات الإنجيلية واسم هذا الضابط الليفتانت ويلفورد. وبعد مدة وجيزة حضر إليه كثيرون من كهنة الهند وفقهائهم ومعهم مخطوطات باللغة السنسكريتية حاوية لقصص هندية خاصة بالإله كرشنا تشبه الرويات الإنجيلية تماماً، وتكاثر عددهم كما تكاثر عدد الروايات المشابهة لقصص البشائر، فاهتز العلماء وكاد بعضهم يقبل صحة تلك الروايات، ولكن مغالاة أولئك الهنود حملت الخبراء في لغات الهند القديمة على فحص تلك الروايات فظهر لهم أنها مزيفة تزييفاً متقناً لغرض واحد، وهو الحصول على المكافآت المالية، فكانت فضيحة شائنة واعترف الضابط أنه كان

أضحوكة وفريسة قوم نصابين لا ضمير لهم.

فمن تلك الروايات المزيفة لتقليد الروايات الإنجيلية قصة ميلاد الإله كرشنا، ومولده من عذراء، والقول بأن والديه كانا قبل ولادته على سفر ليكتتبا، والقول بأنه مات مصلوباً، وإضافة بعض أسماء إلى اسمه تشبه اسم مريم واسم «ايسوس» إلى غير ذلك من المشابهات جميعاً التي لا وجود لها إلا في المؤلفات الهندوسية المتأخرة، التي كتبت بعد انتشار المسيحية في العالم، وأكثرها وُضع في القرن السابع عشر أو الثامن عشر، كما يسلم بذلك الخبراء المحايدون.

قال د. بارنت (مدير القسم الهندي بالمتحف البريطاني): يبدو لنا أن الأساطير الهندية في حياة المعبود كرشنا، المشابهة لحياة المسيح، مأخوذة من المصادر

المسيحية المنحطة (أعني أناجيل الأبوكريفية غير القانونية) التي كانت منتشرة في الكنيسة المسيحية في ملبار بالهند، ومن المضحك أن بعض أولئك المزيفين وقع في فخ بدون أن يدري، فأنهم في تقليدهم لقصة ذهاب يوسف ومريم إلى بيت لحم ليكتتبا نقلاً عن الترجمة الإنجليزية القديمة، وفيها كلمة ليكتتبا مترجمة taxed وهذا خطأ في الترجمة صححه مترجمو النسخة الإنجليزية المنقحة، فذكر أولئك المزيفون، أن والدي كرشنا سافرا لدفع الضريبة،(٢٥) أعني أنهم نقلوا الرواية بما فيها من خطأ.

وهكذا أثبت العلماء أنه لا يوجد تشابه بين حياة كرشنا وسيرة المسيح الواردة في الأناجيل والقول بأن المسيحية أخذت من الهندوسية شيء يخالف الحقيقة الصارخة،

لأن الواقع هو أن الهندوسية المتأخرة هي التي أخذت من المسيحية، وأن تلك المشابهات وضعت بعد الأناجيل بأجيال كثيرة، وهذا ما أثبته العلماء بالإجماع».(٢٦)

(٢) عندما لقي الأسكندر الأكبر حتفه سنة ٣٢٣ق.م، انقسمت البلاد التي كانت تدين لسلطانه بين قادته العسكريين، فصارت ممتلكات الأسكندر الأكبر في الهند إلى سلوكس نيكاتور حاكم سورية، وإبان حكم حفيده أنتيوخوس الثاني (٢٦١ – ٢٦٤ ق.م)، راح حاكم باكتريا وهو يوناني يدعى ديودوتوس، يدعم استقلاله شيئاً فشيئاً، ثم أعلن نفسه ملكاً، وبذلك أقام المملكة اليونانية – الباكترية. ولم يمض وقت طويل حتى انقسمت هذه المملكة إلى ولايات صغيرة عديدة يحكمها ملوك يونانيين، بيد أن هذه لم تكن بحال نهاية هذه المملكة، ففي

عام ٥٠م أسست المملكة الهندية - الأسكيشية تحت لواء أسرة كوشان، التي أنجبت كانيشكا، الذي اعتلى العرش سنة ١٤٤م، واعتنق البوذية، ووسع نطاق مملكته، وكان تأثيره على فن جندهار عظيم الشأن وبمقارنة تماثيل بوذا المتناثرة في ربوع الهند والصين واليابان وُجد أنها متماثلة بصورة أو بأخرى. وقد وُلد بوذا بنيبال، بينما جاءت تماثيله الأولى من منطقة جندهار (بأفغانستان الحالية) فما السبب في ذلك؟

لقد التقت البوذية في جندهار بالحضارة اليونانية (الهلنسية)، ولما كان الفنانون في جندهار منحدرين من أصل يوناني أو من سلالة خليطة، فقد انحصر تفكيرهم في نطاق الفن اليوناني، وهكذا قرروا خلق صورة مثالية للرجل الذي اعتنقوا مبادئه

وألبسوه رداءً يونانياً، ومنذ ذلك الحين غالباً ما يُصور بوذا وهو يرتدي الزي اليوناني.

ومن هنا نرى تأثير الفن اليوناني على صورة بوذا، فهل هناك ما يمنع انتقال الفكر الديني اليوناني والفكر الديني المسيحي عن طريق هؤلاء وغيرهم، حيث الاختلاط والامتزاج.(٢٧)

(١٠) إن مبتدع هذه النظرية هو الروسي نقولا نوتوفيتش،(٢٨) ومعروف أنهم ينكرون الدين فالدين في نظرهم «إنما هو انعكاس ممسوخ لظواهر الحياة الخارجية، ومن ثم فهو يتعارض مع العلم. ولذلك فإن الكتب المقدسة جميعاً التوراة والإنجيل والتلمود والقرآن حافلة بالأكاذيب».(٢٩)

ويقول لينين في خطاب لمكسيم جوركي الكاتب الروسي الشهير «إن البحث عن الله

أمر لا طائل تحته، والآلهة إنما هي من زرع الإنسان وعمله».(٣٠)

الخلاصة:

لقد تم ترجمة كتب الشرق الدينية في القرن الثامن عشر، في الوقت الذي انتشرت فيه مذاهب النقد العصري، التي حاولت استغلال هذه المشابهات والادّعَاء بأنه لا جديد ولا فضل للمسيحية. ولكن كما رأينا:

١ - أن شعاعاً من نور إعلان الله ربما وصل إلى هذه الأمم من خلال العقل والضمير والطبيعة.

٢ - أن وجود هذا التشابه لا يعني بحال من الأحوال أنه انتقل منها إلى المسيحية.

٣ - أنه ليس من السهل أن أشتاتاً مبعثرة

من الشعائر والمراسيم تكوّن مذهباً مستقلاً وليس من السهل تفسير الانتشار السريع للمسيحية.

٤ - أن المسيحية تتميز عن كل ما سواها من المذاهب الفكرية القديمة والأديان التي سبقتها.

٥ - أن المسيح لم يأت لينقض، بل ليكمل الحق في كافة من سبقوه، ولكن أي حق مما سبق يبدو بصورة أسمى في المسيحية، وأن المسيحية لم تأخذ هذا الحق ممن سبقها.

٦ - ليس هناك ما يمنع أن تكون هذه المشابهات من تأثيرات المسيحية عند انتشارها ولاسيما أنها موجودة في الكتابات المتأخرة.

٧ - يجب أن لا نخشى الدراسة والمقارنة

والنقد الهجومي، فالمسيحية باقية، لأن مؤسسها حي إلى الأبد رغم كل نقد وهجوم.

المراجع

(١) إسرائيل بنت بريطانيا البكر، محمد علي الزغبي، ص ٦٠.

(٢) مجلة الإيمان عدد ٥ لسنة ١٩٥٥، دمشق - سوريا - مقال تحت عنوان «هل ذهب المسيح إلى الهند؟».

(٣) لغة هندية يرجع تاريخها إلى أربعة آلاف سنة تعتبر بمثابة أم لغات الهندية المختلفة، (الأدب الهندي المعاصر د. محيي الدين الألوائي) ص ١٩ - ٢٣.

(٤) ماكس مولر: أستاذ الأديان في أكسفورد، وقد ألف كثير من الكتب عن أديان الهند منها:

1. Studies in Buddhism.
2. India: What can it teach?
3. Six Systems of Indian Philosophy.

(٥) دعوة المعلم العظيم، دار راي لال، تعريب:

ذكي عـــوض المحـــامـي، ص ١٦٥ ط١ سـنـة ١٩٦٧م، الأنجلو المصرية.

(٦) «المسيح والأحمدية» أو قبر المسيح في كشمير للمؤلف.(مخطوط) .

(٧) لمزيد من التفاصيل اقرأ «المسيح في يوسيفوس»، د. عزت ذكي.

(٨) جـــريدة وطـنـي ٢٠، ٢٧ / ٣ / ١٩٧٧، رد للأنبا غريغوريوس على هذا السؤال «هل ذهب المسيح إلى الهند؟ »

(٩) من وحي المسيح، ص ٢٢ - ٢٣.

(١٠) لمزيد من التفاصيل ارجع إلي :

أ - فخر الصليب د. صموئيل زويمر .

ب - برهان يتطلب قراراً، ترجمة د. القس منيس عبد النور .

جـ - لماذا أؤمن؟ د. القس إبراهيم سعيد .

د - قضية الصليب عوض سمعان

(١١) جريدة وطني، رد الأنبا غريغوريوس ٢٠، ٢٧ / ٣ / ١٩٧٧.

(١٢) عيسى في الخالدين، محمد عطا، ص٢٦.

(١٣) المسيح وفلاسفة أثينا، د. عزت ذكي، ص ١٢،٨.

(١٤) Max Muller: Six Systems of Indian Philosophy, p. 386 .

(١٥) Leckey: History of European Morals, vol. 1 p. 96 .

(١٦) Draper: The Intellectual Development of Europe, vol. 1, p. 153.

(١٧) Melamed: Spinoza and Buddha.

(١٤ – ١٧) مأخوذة من كتاب «الفلسفة الهندية»، السيد أبي النصر أحمد الحسيني ط١ .١٩٦٠ ص ٨، ١٠، ١٦ .

(١٨) شانكار «أبو الفلسفة الهندية»، فؤاد محمد شبل، الهيئة العامة للكتاب، ص ١٠، سنة ١٩٧٥ .

(١٩) حياة المسيح، عباس محمود العقاد، ص ٩١، طبعة دار الهلال.

(٢٠) مع الفلسفة اليونانية، د. محمد عبد

الرحمن مرحبا، منشورات عويدات سلسلة «زدني علما»، ص ٦٨ – ٦٩، ط ٣ سنة ١٩٨٨ بيروت.

(٢١) حياة المسيح، عباس محمود العقاد، ص ٩١ – ٩٣، ط دار الهلال.

(٢٢) المسيح وفلاسفة أثينا، د. عزت ذكي، ص ١٧٦ – ١٧٧، ١٩١ .

(٢٣) المرجع السابق ، ص ١٦٥ .

(٢٤) المسيح وأديان الهند. للمؤلف (تحت الإعداد)

(٢٥) Tax (V): to charge a tax on. Tax (n): money paid to the government according to income, property, goods bought (Active Study Dictionary, p. 625).

وقد صححت الكلمة to be taxed إلى to be enrolled في R.S.V. أو to be registered في T.C.N.T

ارجع إلى The New Testament from 26 Translations. Michigan U.S.A. p. 219 .

(٢٦) مجلة اليقظة، مارس سنة ١٩٤٠، مقالة تحت عنوان «المسيحية والأساطير والوثنية»، د.حليم عطية سوريال، ص ٣٨٧ – ٣٨٨ .

(٢٧) الماضي الحي، د. ايڤار ليستر، ترجمة شاكر إبراهيم سعيد، ص ١٨١ – ١٨٤ .

(٢٨) مجلة الإيمان عدد ٥ لسنة ١٩٥٥ ودائرة المعارف الكتابية، جـ١ ص ٥٩ .

(٢٩)، (٣٠) المسلمون تحت الحكم الشيوعي، محمد سامي عاشور، ص ٣٧ – ٣٨ .

الفصل الثاني

المسيح والأسينيون

الادّعاء بأن المسيح قد قضى هذه الفترة (من الثانية عشرة حتى الثلاثين من عمره) متتلمذاً على يد الأسينيين.

ففي سنة ١٧٧٠م ادّعى فردريك الثاني ملك بروسيا أن المسيح كان واحداً من الأسينيين، وكتب إلى صديقه الفيلسوف الفرنسي دالمبير يقول: «ليس يسوع سوى واحد من الأسينيين، فهو مشبع من الروح الأخلاقية التي نجدها عند الأسينيين، والتي تمت بصلة وثيقة إلى أخلاقيات زينون× »(١)

× زينون: فيلسوف ولد فى قبرص عام ٣٣٦ ق.م ثم رحل إلي أثينا. وأنشأ مدرسة فى رواق ومنها أخذ مذهبه اسم «الرواقى» أو

وفي نفس هذا القرن ظهر في الغرب طائفة من النقاد العصريين وعلى رأسهم فنتيني، وباهرد ويظن كل منهما بأن يسوع كان عضواً في شيعة الأسينيين، وقد تعلم وتدرب على يد معلمي هذه الشيعة. ونظريتهما عن قيامة يسوع تقول: «إن يسوع أنزل من على الصليب فاقد الوعي وعالجه أطباء أسينييون إلى أن استرد قوته وظهر لتلاميذه الذين اعتقدوا أنه مات»(٢)

وفي عام ١٨٥١م ظهر في السويد لأول مرة كتاب تحت عنوان «صلب يسوع بقلم شاهد عيان» وهو عبارة عن رسالة كُتبت بعد

الرواقية وهي مذهب مادي، فيها كل معرفة ترجع إلي الحس.وعلي الإنسان أن يرضي بحكم الطبيعة سواء أكان خيراً أم شراً، لأنه مفروض عليه ولا حيلة له فيه وهذا المذهب يؤمن أن القوة المحركة للكون ليست سوي مادة وأن هذه القوة المحركة (القوة الإلهية) والكون شيء واحد أو أن الإله جوهر ذو مادة والكون كله هو قوام جوهر الإله». (العالم قبل المسيح، ذكى شنودة ص ٢٨٨ - ٢٩١).

حادثة الصلب بسبع سنوات بمعرفة شيخ أسيني -لا يعرف اسمه- في أورشليم إلى شيخ أسيني آخر في الإسكندرية، يقول: «إن يوسف ويوحنا المعمدان ونيقوديموس ويسوع والملاك الذي ظهر عند القبر، جميعهم كانوا أسينيين، ولم تحدث قيامة ولكن الأسينيين أفاقوا يسوع من إغمائه بعد صلبه، ثم عاش ستة شهور أخرى قبل أن يموت».(٣)

وفي عام ١٨٧٤ نشر الوسيط الروحي «ستيسون موسى» كتاباً تحت عنوان «Spirit teaching» أي «تعاليم الروح» جاء فيه ص ٢٣٥ «تسعة عشر قرناً قد مرت منذ ذلك الوقت الذي فيه نزلت التعاليم السامية التي تمارسونها اليوم، ولكنكم لم تسيروا إلا قليلاً نحو التقدم الحقيقي، ولم تكتسبوا إلا ضئيلاً من الحكمة الأصيلة، لم تتقدموا إلا

يسيراً نحو الديانة الحقيقية. بل على العكس أنكم أسوأ من الأسينيين الذين عاش بينهم يسوع».(٤)

وفي عام ١٩٧٤ نشر الكاتب اللبناني ميخائيل نعيمة كتاباً تحت عنوان «من وحي المسيح» جاء فيه «لقد كان في مستطاع أولئك الحكماء الأسينيين، الذين صفت سريرتهم وتفتحت بصيرتهم أن يقرأوا في صحيفة الزمان أشياء كانت، وأشياء كائنة، وأشياء ستكون. وكان أن قرأوا عن ولادة طفلين عجيبين أحدهما يوحنا بن زكريا واليصابات، والآخر يسوع بن يوسف ومريم. لذلك راح أولئك الحكماء يرقبون الطفلين من بعيد ريثما يبلغان السن التي يستطيعان معها أن يتقبلا بالتدرج التمارين القاسية والكشوف الروحية التي ستمكن كلا منهما من تأدية الرسالة المنتدب

لتأديتها، وكان الحكماء يعرفون أن رسالة يسوع هي الأهم، فهو المسيح المنتظر، أما رسالة يوحنا فلم تكن أكثر من التمهيد لرسالة المسيح، ومن هنا لقبه «يوحنا السابق».... لذلك انضم يوحنا ويسوع إلى الأخوية الأسينية وهما في الثانية عشرة ولم ينفصلا عنها حتى بلوغهما الثلاثين، وهي سن اكتمال الروح والرجولة. أما كيف انضما إلى الأخوية فتقديري أن دعاة من تلك الأخوية جاءوا بهما إليها بطريقة سرية، دون علم والديهما... استنتاجي أن يسوع الناصري ويوحنا كانا، في فترة من حياتهما من جماعة الأسينيين».(٥)

ويرى محمد عطا «أنه بلا ريب -أي المسيح- قد تأثر بطائفة أخرى من اليهود في مجتمعه كان لها شأنها، ويقال إن يوحنا المعمدان كان واحداً منها، هي طائفة

«الأسينية» وكان المنتمون إليها يحيون حياة الزهد والتبتل ويعيشون عيشة مشتركة»(٦)

وفيما يلي سوف نعرف، من هم الأسينيين؟ متى نشأوا؟ وأين وكيف عاشوا؟

ما هي علاقة يوحنا المعمدان ويسوع الناصري× بهم؟ ما هي تعاليمهم وعقائدهم؟

×«إن اكتشاف وثائق البحر الميت عام ١٩٤٧ بدأ يلقى الضوء علي تلك السنوات الصامتة من حياة المسيح، مما دفع بعض العلماء إلي القول: لقرون عديدة، كان دارسو الكتاب المقدس من المسيحيين يتساءلون عن حقيقة المكان الذى عاش فيه يسوع، وماذا كان يفعل خلال تلك الفترة التى تعرف بالثمانى عشرة سنة الصامتة من حياته، والتى تمتد منذ بلغ الثانية عشرة إلي أن صار عمره ثلاثون عاماً. إن الوثائق التى تثير الدهشة والإشفاق، التى تختص بمكتبة

ماذا قال الكتاب المقدس عنهم؟

ما هي الأدلة التي يستند عليها من يقولون بتتلمذ المسيح عليهم؟

مقدمة تاريخية:(٧)

بعد موت الاسكندر الأكبر سنة ٣٢٣ ق.م، اقتسم قواده الأربعة البلاد التي فتحها بعد صراع فيما بينهم، وفي النهاية آلت مصر

طائفة الأسينيين (من اليهود) والتى وجدت فى كهف تلو كهف قرب البحر الميت، قد أعطتنا الإجابة أخيراً. لقد بدأ يتضح للعلماء أن يسوع خلال تلك السنوات المفقودة كان تلميذاً فى هذه المدرسة الأسينية. كما أنهم بدأوا يقرون تدريجياً بوجود مماثلة مفزعة بين تعاليمه وألفاظه وبين نظيرتها التى قالها الأسينيون وزعيمهم الذى عرف باسم: معلم البر». «حقيقة التبشير بين الماضى والحاضر» أحمد عبد الوهاب ، ص ٩-١٠.

إلى بطليموس الذي أسس دولة البطالمة، وآلت سوريا إلى سلوقس الذي أسس دولة

السلوقيين، ولأن فلسطين تقع بين الدولتين فقد أصبحت مسرحاً للصراع الدائر بينهما، فقد استولى عليها بطليموس الثاني سنة ٢٨٠ق.م، ثم سيطر عليها السلوقيون سنة ٢٠٠ ق.م.

وقد انقسم الشعب اليهودي تحت حكم السلوقيين إلى حزبين رئيسيين:

١ - اليهود الذين تأثروا بالثقافة والعادات والتقاليد الهلينية ونستطيع أن نطلق عليهم حزب الأحرار أو الحزب الهليني.

٢ - اليهود الذين تمسكوا بدينهم وتقاليدهم، واعتبروا الآخرين أشراراً ومرتدين، ونستطيع أن نطلق عليهم حزب اليهود المحافظين أو الحزب القومي.

وقد حكم دولة السلوقيين الملوك الآتي أسماؤهم:

١ - سلوقس الأول (٣٠٥ - ٢٨٠ ق.م) وهو مؤسس الدولة السلوقية، وقد فاز بسوريا بعد هزيمة منافسه أنتجونوس سنة ٣٠٦ ق.م.

٢ - أنطيوخوس الأول (٢٨٠ - ٢٦١ ق.م).

٣ - أنطيوخوس الثاني (٢٦١ - ٢٤٦ ق.م).

٤ - سلوقس الثاني (٢٤٦ - ٢٢٦ ق.م).

٥ - سلوقس الثالث (٢٢٦ - ٢٢٣ ق.م).

٦ - أنطيوخوس الثالث (٢٢٣ - ١٨٧ ق.م)

٧ - سلوقس الرابع فيلوباتر(١٨٧- ١٧٥ق.م).

٨ - أنطيوخوس الرابع أبيفانس (١٧٥- ١٦٣ق.م).

٩ - أنطيوخوس الخامس (١٦٣ - ١٦٢ ق.م).

١٠ - ديمتريوس الأول (١٦٢ - ١٥٠ ق.م).

١١ - ديمتريوس الثاني (١٤٥ - ١٣٩ ق.م).

نكتفي بهذا الثبت من الأسماء، وما يهمنا في بحثنا هو الفترة من (١٨٧ - ١٣٩ ق.م).

أثناء صراع أنطيوخوس الثالث مع روما، هُزم في سنة ١٩٠ ق.م في موقعة «ماجنيزيا» وعُقدت بينهما معاهدة «أفاميا» سنة ١٨٨ ق.م، وبذلك فقدت الامبراطورية السلوقية قوتها الحربية، وفرض عليها الرومان جزية سنوية باهظة ونتيجة لضعف الدولة، أصبح لرئيس الكهنة قوة ونفوذ، وأصبح هو الممثل الرسمي للسلطة وعليه أن يؤدي الجزية المفروضة.

في عهد سلوقس الرابع (١٨٧ - ١٧٦ ق.م) حاول أن يحصل على المال المكدس في خزانة الهيكل لدفع الجزية، ولتنظيم شئون الدولة المالية التي تأثرت بالجزية الباهظة -التي

فرضها الرومان- فأرسل خازنه «هليودورس» إلى أورشليم حيث رئيس الكهنة «أونياس»، ولكنه فشل في الحصول على المال وقُتل «هليودورس»، مما أدى إلى ازدياد التوتر بين الحزبين اليهوديين (الهليني - القومي).

وفي عهد أنطيوخوس أبيفانس (١٧٥ - ١٦٣ ق.م)، وهو من أبرز أفراد الأسرة السلوقية، اهتم بالعمران وأراد النهوض بالدولة السلوقية، وبذل جهوداً قوية لتوحيد صفوف رعاياه عن طريق الروابط السياسية والدينية والثقافية، وسعى إلى تقوية مركز الهلينية وعبادة الإله «زيوس الأوليمبي»، مما أدى إلى صراع بينه وبين اليهود لوقوفهم عثرة في سبيل تحقيق مقاصده وسعيه في أن تكون الحياة الدينية على اتفاق تام مع الحياة السياسية، وأن

تسود الروح والسياسة اليونانية على جميع المملكة.

في ذلك العهد وكنتيجة للصراع الدائر، ضعف مركز رئيس الكهنة، وتلاعب الحكام به، وأصبح هذا المنصب لمن يدفع أكثر، ولمن يؤيد سياسة الدولة في نشر الهلينية، فتم عزل أونياس الذي فر إلى أنطاكية وعُين بدلاً منه شقيقه يشوع - الذي غير اسمه إلى ياسون- ودفع مبلغ ٤٤٠ وزنة من الفضة في مقابل هذا المنصب، وكان شديد الحماس لنشر الثقافة الهلينية، بل كان الاتفاق هو أن ينجح ياسون في تحويل أورشليم إلى الهلينية في أسرع وقت ممكن.

أدى انتشار التيار الهليني والممارسات اليونانية الوثنية إلى تكتل اليهود المحافظين، وقاموا بثورات احتجاجاً على

ذلك، وكان بعضها موجهاً إلى كهنة الهيكل (١مك ١: ١٢ - ١٦).

لم يستمر «ياسون» في منصبه أكثر من ثلاث سنوات، وتولى «منيلاوس» الذي زايد عليه بثلثمائة وزنة من الفضة (٢مك ٤: ٢٣ - ٣٣)، فعُزل ياسون وهرب إلى غرب الأردن، وقام «منيلاوس» ببيع أواني الهيكل الذهبية، وتآمر على قتل أخيه (٢مك ٤: ٣٣ -٣٤).

في أثناء حملة أنطيوخوس الرابع على مصر (١٧١ - ١٦٨ ق.م) شاع أنه مات، فجاء رئيس الكهنة المعزول «ياسون» ومعه ألف جندي واستولى على أورشليم، وبعد رجوع أنطيوخوس، اعتبر ما حدث في أورشليم ثورة ضده، وأن الديانة اليهودية عائق أمامه، فعزم على محو الديانة اليهودية، فأرسل جيشاً قوامه ٢٢,٠٠٠ جندي لاخماد

هذه الاضطرابات (٢مك ٥: ٢٤)، وأصدر مرسوماً باحراق الكتب المقدسة، ومنع تقديم الذبائح وممارسة الفرائض اليهودية مثل حفظ السبت، الأعياد، الختان، بل اعتبر اعتناق اليهودية أمراً غير مشروع فاستبدل العبادة اليهودية بالعبادة اليونانية، وأجبر الشعب اليهودي على الاشتراك فيها، وإلا تعرضوا للقتل وقام بالاستيلاء على كل تحف الهيكل، حتى الرقائق الذهبية التي كانت تُغشي واجهته (١مك ١: ٢٠ - ٢٤) ودشن الهيكل «لزيوس»، وجلب كهنة سوريين لتقديم الذبائح (٢مك ٦: ١) وقدمت ذبائح من الخنازير ونتيجة لكل هذا، قبل بعض اليهود الوضع الجديد، وخضعوا للأوامر الملكية وقدموا ذبائح للأصنام (١مك ١: ٥٥) ولكن اليهود المتمسكين فروا إلى الصحراء ولجأوا لممارسة ديانتهم وكانوا يفضلون الموت عن

ترك الوصية (١مك ١: ٥٥ – ٥٦)، وبعضهم لجأوا إلى الجبال وقاوموا العدو تحت زعامة يهوذا المكابي (٢مك ٥: ٣٧).

ثم فاز اليهود بحريتهم الدينية تحت زعامة يهوذا المكابي سنة ١٦٤ ق.م وبعد سلسلة من الحروب أقاموا صرح استقلالهم السياسي عام ١٤٢ ق.م (١مك ٦: ٥٧ – ٦١).

بعد ذلك بدأ الصراع بين خلفاء الثورة، نتيجة لطموح المكابيين في الاستيلاء على السلطة السياسية وأيضاً الاستئثار برئاسة الكهنوت -الذي لا يجوز لهم- ومن خلال هذا الصراع ظهرت الطوائف اليهودية الكبرى: الصدوقيون، الفريسيون، والأسينيون (من طائفة الحسديين أو الأتقياء (١مك ٢: ٤٢) الذين انسحبوا إلى الصحراء وشكلوا جماعة منفصلة عن كهنوت أورشليم).(٨)

مصادر المعلومات عن الأسينيين:(٩)

لم يذكر الكتاب المقدس عنهم أي شيء، ولكن هناك بعض المعلومات التي ذكرها بعض المؤرخين مثل:

١ - **يوسيفوس**: مؤرخ يهودي، معاصر لظهور المسيح، كتب مؤلفاته في روما بعد سقوط أورشليم سنة ٧٠م، وقد ذكرهم في كتابيه: حروب اليهود، تاريخ اليهود.

٢ - **بليني**: من مؤرخي القرن الأول الميلادي، كان مرافقاً للقائد الروماني «فباسيان» وعند وصفه للجانب الغربي من البحر الميت، تحدث عن مكان جماعة قمران معتبراً إياهم من الأسينيين، وذلك في كتابه «التاريخ الطبيعي» سنة ٧٧م.

٣ - **فيلو**: يهودي أسكندري، من القرن الأول الميلادي.

ذكرهم في كتابين من مؤلفاته كتبهما في

مـصـر سنـة ٥٠م «حـيـاة التـأمـل، الغـرض»، وقدر عددهم بما يزيد عن ٤٫٠٠٠ نسمة، وعنه أخذ «يوسـابيـوس» مـؤرخ الكنيـسة (٢٣٠ - ٢٤٠ م).

٤ - **هيبوليتس**: كاتب مسيحي (١٧٠ - ٢٧ م).

تحدث عنهم في كتابه «تفنيد الهرطقات» وهناك بعض الاختلافات بينه وبين المؤرخ اليهودي «يوسيفوس».

٥ - مخطوطات وادي قمران

في مارس ١٩٤٧م، بينما كان أحد رعاة الأغنام (محمد الديب من قبيلة التعامرة) يرعى غنمه عند الشاطيء الغربي للبحر الميت، وعلى مسافة ثمانية أميال جنوب أريحا، ضلت إحدى غنمه، فأخذ يبحث عنها بين الكهوف، وصوب حجراً إلى أحد الكهوف،

فسمع صوت شئ يتحطم، فأسرع بالفرار واستدعى اثنين آخرين، وصعد الجميع إلى الكهف، فرأوا جراراً، تحتوي على رقوق ملفوفة بالكتان، فأتوا بها إلى أسكافي في بيت لحم (سرياني المذهب)، فأخذها وعرضها على مطران القدس السرياني «مار أثناسيوس»، فاشترى منها أربعة رقوق، ثم بيعت الثلاثة الأخرى للجامعة العبرية بالقدس، أما مخطوطات المطران فقد وصلت إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ثم اشترتها أخيراً الجامعة العبرية بالقدس «اثني عشر ملفاً من الجلد والرق».(١٠)

ولما عرف العلماء بتلك المخطوطات النادرة، بدأ البحث لاكتشاف كهوف قمران، وقد قام بالبحث المنظم دائرة الآثار في المملكة الأردنية تحت اشراف لنكستر هاردن، والأب دي فو (De Vaux)، وكذلك اشترك في

هذا التنقيب المعهد الأريكيولوجي الفرنسي، والمدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية، وقد تجمع في الفترة من ١٩٤٧ - ١٩٥٢ أكثر من ستمائة مخطوطة، توجد بالمتحف الوطني الأردني.

ومن المواد التي صُنعت منها الجرار، والأقمشة التي لُفت بها المخطوطات، والنقود التي عُثر عليها تأكد أن هذه المخطوطات كُتبت في القرن الأول قبل الميلاد أو على الأقل بعد الاحتلال الروماني للمنطقة في عام ٦٩ بعد الميلاد.

والمخطوطات التي عُثر عليها:

١ - نصوص العهد القديم (كل الكتاب تقريباً ما عدا سفر أستير) وبعض الشروحات.

٢ - أبوكريفا العهد القديم.

٣ - مخطوطات خاصة بالجماعة مثل كتاب

«النظام»، «ترانيم الشكر»، «الحرب بين أبناء النور وأبناء الظلمة»، التقويم القمري الذي كانوا يتبعونه.

وقد كُتبت هذه المخطوطات باللغتين العبرية والأرامية.

وقد كتب هؤلاء القمرانيون هذه المخطوطات النفيسة، وحرصوا على حفظها في الكهوف المجاورة لمساكنهم، في جرار لها أغطية، لتحميها من الرطوبة وتصونها من أيدي الأعداء العابثين بمقدساتهم ممن كانوا يخشون بأسهم، على أن هناك من يُرجح أن وجود المخطوطات في هذه الكهوف، هو بمثابة دفن لها بدلاً من اتلافها المحظور باعتبارها نصوصاً دينية أُبطل استعمالها.

ويقول العالم الأثري الفرنسي «اندريه دوبون سومر» Andre Dupont Sommer وهو

من أساتذة السوربون :«إن مخطوطات خربة قمران، كانت ولاشك من عمل الأسينيين، وأن سفر حبقوق النبي وضع فيها عام ٧٠ ق.م ».(١١)

معنى كلمة (أسينيون):(١٢)

اختلف العلماء في ذلك وقالوا:

١ - إنها كلمة عبرية: «حسيديم» بمعنى الأتقياء، أو «حاسيين» من حسا وهو الاكتفاء بالقليل أو «الأسى» بمعنى الطبيب.

٢ - إنها كلمة يونانية: «أجيوس» بمعنى قدوس أو مقدس، أو «أجوس» بمعنى معادل أو «هوزيوس» أي القداسة.

٣ - إنها كلمة أرامية: «هاسياس» أي الأتقياء.

لم تذكر كلمة «أسينيين» في مخطوطات البحر الميت.

عقائدهم وتعاليمهم:

١ - الإيمان بالله الواحد (كطائفة يهودية).

٢ - الإيمان بالناموس والأنبياء.

٣ - التطبيق الحرفي للناموس والتشدد فيه.

٤ - التمسك بالأحكام الأخلاقية التي في التوراة.

٥ - الإيمان بفناء الجسد وقيامة وخلود الروح.

٦ - انتظار المسيا.

٧ - يؤمنون بأنهم إسرائيل الجديدة أو شعب الموعد (العهد الجديد).

٨ - محاولة الاستقلال عن عبادات الهيكل في أورشليم.

٩ - اتباع تقويم خاص بهم.

١٠ - معلم البر أو العدل هو مؤسس ورئيس طائفتهم.

نظامهم وأسلوب معيشتهم:

لقد أوضحت المخطوطات وخاصة كتاب «النظام»× وصفاً لسلوكهم وأسلوب معيشتهم.

١ - الاشتراكية:

لقد حرموا الملكية الشخصية، وكان كل شيء في الجماعة مشتركاً، فمن ينضم إليهم

× كتاب النظام أو قوانين الجماعة، قد عُثر عليه فى قسمين منفصلين، ضما معاً فكونا وثيقة طولها ست أقدام وعرضها تسع بوصات ونصف البوصة، ... وتعتبر هذه الوثيقة أهم مصدر لمعرفتنا لهذه الطائفة الدينية فى وادى قمران وهى تبدأ ببيان الأمور التى يجب توافرها فيمن يشتهون الدخول فى العهد الجديد، ثم يلى ذلك ذكر الطقوس اللازمة للانضمام للجماعة، ويتناول جزء من النص تعليم جماعة قمران عن الإنسان. ثم بعد ذلك قوانين الجماعة.. وتختم المخطوطة بمزمور تعبدى» (دائرة المعارف الكتابية جـ٢ ص ٩٣).

يأتي بكل ما يملك ليصبح جزء من ممتلكات الجماعة، وكان يقوم على تدبير شئونهم وكلاء يعينون لهذا الغرض، وبذلك يُؤمن للفرد مأكله ومشربه ومسكنه، وكانت توزع عليهم الأعمال، ويقوم كل فرد بعمله على أكمل وجه. وهنا نرى أن مبدأ امتلاك الثروة أمر مكروه، وأن هذا النظام أدى إلى اختفاء مظاهر الفقر والغنى بين الجماعة، فلا سيد ولا مسود.

٢ - الزواج:

كانوا يمتنعون عن الزواج، حتى لا يكون النساء والأولاد عائقاً للجماعة عن الوصول إلى الصلاح والحق والاستعداد للحرب المقدسة ومن أقوالهم:

- من يتزوج يرتكب خطية النجاسة، وليس له حق التواجد معهم.

النساء والأولاد يعملون على تحويل الجماعة عن أهدافها.

- النساء اللواتي لهن أبناء، هن خطر شديد، حيث أنهن يستخدمن أبناءهن وسيلة لتنفيذ أغراضهن بصورة تعكر صفو الوحدة الروحية للجماعة.

أي أنه ليس للمرأة مكان في حياتهم، ولكنهم كما قال يوسيفوس لم يمنعوا أتباعهم من الزواج بغرض انجاب النسل.

٣ - علاقتهم بالآخرين:

- كانوا يفضلون المعيشة في القرى عن المدن، تفادياً للاختلاط حيث أن تأثير المدن في الإفساد أقوى من القرى.

- التمسك بالأحكام الأخلاقية للتوراة مثل الطهارة، الفضيلة، ضبط النفس، التواضع... الخ.

- مراعاة يوم السبت، بعدم العمل، والذهاب إلى المجامع لدراسة التوراة.
- كانوا مشهورين بأمانتهم ودقتهم، وضميرهم الحي.
- تحريم الرق والعبودية والدعوة إلى المساواة بين الناس.
- احترام الآخرين والمحبة والرحمة.
- يعيشون ويعملون تحت اشراف شيوخهم.
- تبّني الأولاد وتربيتهم على مبادئهم.

عبادتهم اليومية:

يبدأ يومهم قبل الفجر بالصلاة، ثم يذهبون لأعمالهم، وفي منتصف النهار يستحمون بالماء البارد. ويعرف هذا الاستحمام الجماعي بالاغتسال، ثم يتناولون الطعام بعد أن يطلب أحدهم البركة عليه. وليس للعضو المنضم إليهم

الحق في تناول طعام خارج عن هذا الطعام المعد والمقدم للجماعة، لأنه نجس ثم يستأنفون أعمالهم، وفي المساء يكرروا ما فعلوه في الظهيرة.

وفي يوم السبت، حيث لا عمل بالمرة، يجتمعون معاً، ويقرأ أحدهم جزءاً من الكتب المقدسة، ويقوم أحد شيوخهم بتفسير هذا الجزء.

أما من جهة علاقتهم بالهيكل في أورشليم، فإنهم كانوا يعتبرون شعائرهم الدينية أفضل وأطهر من شعائر كهنة الهيكل، وأن كهنوتهم هو الكهنوت الصحيح بعد أن استولى المكابيون على الكهنوت، وكان من آمالهم أن الرب سوف يأخذ الهيكل من الأيدي النجسة ويعطيه لهم.

ولكن هذا لم يمنعهم من ارسال ذبائحهم إلى الهيكل -دون الذهاب إلى هناك- خوفاً من التنجس عن طريق الاختلاط بالآخرين.

طريقة الانضمام إليهم:

١ - التبني:

حيث أن عدم الزواج هو مبدأهم، كانوا يتبنون أطفالاً (لم يكن شرطاً أن يكونوا يهوداً، بل من الجائز أن يكونوا من الأمم) ويربونهم على المباديء الخاصة بهم.

٢ - الانضمام:

أ- يتقدم طالب الانضمام بطلب يزكيه أحد الأعضاء.

ب- يقضي المبتديء سنة تحت الاختبار، وعندما يثبت أن كل المؤهلات اللازمة تتوافر فيه، يقضي سنتين أخريتين تحت الاختبار، ثم يُؤخذ عليه التعهد (قسم الانضمام للجماعة)، وعند ذلك يُقبل رسمياً ويكون له الحق في طعام الجماعة.

العقوبات:

- كان النظام قاسياً، فحياتهم تحت اشراف الشيوخ، ومعلم الصلاح أو البر هو رئيس الجماعة ورأي الأغلبية هو السائد.

- المحاكمة تتكون من مائة قاض، ولذلك يكون حكمها نهائياً.

- أكثر الجزاءات من نوع الحرمان من الأكل (الحرمان من الطعام المقدس مع الجماعة، ولا يستطيع العضو التناول من أي طعام آخر حيث أنه نجس). الحرمان لجزء من الطعام أو لوقت معين من الزمان.

- الفصل من الجماعة لمدة معينة.

- أقصى عقوبة هي الطرد النهائي من الجماعة.

الأسينيون ويوحنا المعمدان:

يرى البعض أن يوحنا المعمدان قد انضم إلى الأسينيين، أو على الأقل قد تأثر بتعاليمهم، وكان بذلك الواسطة لانتقال هذه التعاليم إلى المسيح والمسيحية، وهاك طائفة من هذه الآراء:

١ – «يميل غالبية دارسي الكتاب المقدس إلى الاعتقاد بأن يوحنا المعمدان تربى في وسطهم وعاش بينهم وأخذ من طباعهم، مع أنه كان يختلف عنهم في كثير من العقائد»(١٣)

٢ – «أما يوحنا المعمدان فربما كان أقرب إليهم، مع أن حياته التي نعرفها لا تتفق كثيراً مع حياة الأسينيين»(١٤)

٣ – «ولطائفة قمران تأثيرات غير هذه في عهد الكنيسة الأولى، عن طريق يوحنا

المعمدان الذي يقال إنه كان من جماعة الأسينيين»(١٥)

٤ - «انضم يوحنا ويسوع إلى الأخوية الأسينية، وهما في الثانية عشرة، ولم ينفصلا عنها حتى بلوغهما الثلاثين... واستنتاجي أن يسوع الناصري ويوحنا كانا كلاهما في فترة من حياتهما من جماعة الأسينيين»(١٦)

٥ - «كما أنه -أي المسيح- بلا ريب قد تأثر بطائفة أخرى من اليهود في مجتمعه كان لها شأنها، ويقال إن يوحنا المعمدان كان واحداً منها، وهي طائفة الأسينية»(١٧)

الأدلة التي يستندون عليها في علاقة يوحنا المعمدان بالأسينيين:

(١) - وجود يوحنا المعمدان في البرية، قرب منطقتهم، حيث أن مخطوطات قمران

قد عُثر عليها عند الشاطيء الغربي للبحر الميت، ويوحنا كان يكرز في برية اليهود «فحينئذ خرج إليه أورشليم وكل اليهودية وجميع الكورة المحيطة بالأردن واعتمدوا منه في الأردن معترفين بخطاياهم» (مت ٣: ١ - ٦، مر ١: ٤ - ٥، لو ٣: ٣). فلماذا اختار يوحنا أن يعمد في نهر الأردن وليس في بحيرة طبرية مثلاً - أو غيرها من المياه الحلوة في فلسطين؟.. أما الأردن فقد اختاره يوحنا لأنه أقرب إلى سكن إخوته في العقيدة، ورفقائه في خلال ثماني عشرة سنة من عمره»(١٨)

(٢) حياة التقشف

لقد جاء عن يوحنا المعمدان «كان لباسه من وبر الإبل وعلى حقويه منطقة من جلد، وكان طعامه جراداً وعسلاً برياً» (مت ٣: ٤، مر ١: ٦).

وعندما قال المسيح: «ماذا خرجتم إلى البرية لتنظروا. أقصبه تحركها الريح. بل ماذا خرجتم لتنظروا أإنساناً لابساً ثياباً ناعمة. هوذا الذين في اللباس الفاخر والتنعم هم في قصور الملوك. بل ماذا خرجتم لتنظروا أنبياً. نعم أقول لكم وأفضل من نبي» (لو ٧: ٢٤ - ٢٦، مت ١١: ٧ - ٩).

«لأنه جاء يوحنا المعمدان لا يأكل ولا يشرب خمر فتقولون به شيطان» (لو ٧: ٣٣، مت ١١: ١٨).

«ولماذا كان يوحنا متطرفاً في تقشفه إذ كان «يلبس ثوباً من وبر الإبل» وعلى وسطه زنار من جلد، وكان قوته من الجراد والعسل البري، لأن التقشف في العيش كان من صلب العقيدة الأسينية»(١٩)

(٣) الدعوة إلى التوبة والمعمودية:

لقد بدأ يوحنا المعمدان دعوته قائلاً: «توبوا لأنه اقترب ملكوت السموات... فحينئذ خرج إليه أورشليم وكل اليهودية وجميع الكورة المحيطة بالأردن واعتمدوا منه في الأردن معترفين بخطاياهم، فلما رأى كثيرين من الفريسيين والصدوقيين يأتون إلى معموديته، قال لهم: ....فاصنعوا أثماراً تليق بالتوبة.. أنا أعمدكم بماء للتوبة» (مت ٣: ٢ - ١١، مر ١: ٤ - ٥، لو٣: ٣).

«لماذا راح يوحنا المعمدان يدعو -أول ما يدعو- إلى التوبة؟ لأن الأسينيين كانوا يضعون التوبة في رأس واجبات التواقين إلى الخلاص. ولماذا اختار يوحنا أن يعمد الناس؟.... لأن معلميه من الأسينيين اتخذوا

من المعمودية رمزاً للتطهير من كل شهوة، أو فكرة، أو نية تفسد على طالب الخلاص خلاصه »(٢٠)

و« قد يكون لفكرة المعمودية علاقة تاريخية بطقس الاستحمام عند طائفة قمران، فيوحنا المعمدان كان يقول: إن الاستحمام لا يزيل الذنوب ما لم يسبقه تطهير روحي. وهذا ما ورد في كتاب « النظام » كما يُفهم من المخطوطات الأسينية »(٢١)

وقفة مع هذه الأدلة:

١ - هل عمد يوحنا بالأردن لقربه من مقر الأسينيين؟

إن يوحنا المعمدان كان يسكن مع أبويه

في اليهودية،× بالقرب من حبرون×× مدينة الكهنة، ويقال إن يوحنا المعمدان وُلد في قرية عين كارم(٢٢) المتصلة بأورشليم من الجنوب، وكان أبوه كاهناً من كهنة هيكل أورشليم (لو١ : ٨). وعندما بدأ كرازته «جاء إلى جميع الكورة المحيطة بالأردن» (لو ٣: ٣) بل قبل ذلك كان في البراري (لو ١: ٨٠).

فعندما خرج يوحنا ليكرز في برية

× اليهودية: هى القسم الجنوبى من فلسطين (لو٢٣: ٥ - ٧، يو٤: ٣، ٧: ٣، أع ١: ٨).

حدودها الشمالية تمتد من يافا علي ساحل البحر المتوسط إلي نقطة الأردن التى تبعد عشرة أميال إلي الشمال من البحر الميت، وحدودها الجنوبية من وادى غزة (علي بعد سبعة أميال من جنوب غرب غزة) إلي بئر سبع، فإلي القسم الجنوبى من البحر الميت تقريباً خمسة وخمسين ميل طول فى عرض.

وبرية اليهودية: هى الأراضى المقفرة بين جبال اليهودية والبحر الميت، تمتد من شمال المقاطعة إلي جنوبها بعرض حوالى ١٥ ميل. «قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٨٥» .

×× حبرون: هى مدينة الخليل الآن، علي بعد تسعة عشر ميل جنوب غرب أورشليم. «قاموس الكتاب المقدس ص ٢٨٧» .

اليهودية، فذلك لأنه كان يقيم في هذا المكان، وعندما خرج الجميع ليعتمدوا من يوحنا في الأردن، فذلك لأنه قريب من مقر سكنهم، وليس لأنه كان قريباً من سكن الأسينيين.

وبالرجوع إلى الكتاب المقدس نجد أن يوحنا لم يُعمد في الأردن فقط، بل عمد في أماكن أخرى حيث وُجد من يطلب العماد وحيث وُجدت المياه، فقد عمد في:

١ - بيت عبرة:[x] «هذا كان في بيت عبرة عبر الأردن حيث كان يوحنا يُعمد» (يو ١: ٢٨).

٢ - عين نون قرب ساليم:[xx] «بعد هذا جاء

---

x بيت عبرة: اسم عبرى معناه بيت المخاضة، وهو اسم مدينة كانت علي الشاطيء الشرقي من نهر الأردن.

xx عين نون: اسم أرامي معناه عيون وهي بلدة أو مجتمع من الينابيع بالقرب من ساليم. ولم يتفق العلماء بعد علي تحديد المكان والأرجح أنه وادي به ينابيع فائضة علي مسافة ستة أميال شمال شرق أورشليم، وأن عين نون علي مسافة ميلين من وادي ساليم.

يسوع وتلاميذه إلى أرض اليهودية ومكث معهم هناك وكان يُعمد وكان يوحنا أيضاً يعمد في عين نون قرب ساليم لأنه كان هناك مياه كثيرة وكانوا يأتون ويعتمدون» (يو ٣: ٢٢ - ٢٣).

أما لماذا لم يعمد يوحنا في بحيرة طبرية، فذلك لأنها تبعد كثيراً عن مقر إقامته، وتقدر المسافة تقريباً بحوالي ٧٠ ميل (المسافة بين الطرف الجنوبي لبحيرة طبرية إلى البحر الميت».

(٢) حياة التقشف:

هل كان يوحنا المعمدان يحيا هذه الحياة متمثلاً بالأسينيين؟. الواقع والتاريخ يؤكدان أنه يوجد في كل زمان ومكان، وفي كل دين سواء سماوي أو غير سماوي بعض

وهناك رأى بأن ساليم هى قرية ساليم التى تقع علي بعد أربعة أميال شرق نابلس، وأن عين نون كانت تقع شمال نابلس بعشرة أميال. «قاموس الكتاب المقدس ص ٤٤٧، ٦٥٣ - ٦٥٤».

الأفراد يفضلون مثل هذا الأسلوب في الحياة دون أن يكونوا قد أخذوا عن غيرهم أو تأثروا بهم، ومثال ذلك المتصوفين في كل الأديان. بل أن يوحنا المعمدان يختلف عن الأسينيين في تقشفه وأسلوب حياته كما سنرى في نهاية هذا الفصل.

(٣) الدعوة إلى التوبة والمعمودية:

هل دعا يوحنا إلى التوبة، لأن الأسينيين دعوا إليها؟

هذا منطق مغلوط، فيوحنا المعمدان يهودي يؤمن بالتوراة، والأسينيون طائفة يهودية، فإذا كانت الدعوة إلى التوبة، دعوة مشتركة. فليس ذلك لأن يوحنا أخذ هذا منهم، بل لأن المنبع واحد وهو التوراة، والتراث تراث يهودي واحد.

«فقد كانت التوبة عند اليهود أمراً جوهرياً في إيمانهم الديني وعلاقتهم بالله.

وقد كتب أحدهم يقول: «التوبة هي الشرط الوحيد اللازم لنوال غفران الله واستعادة رضاه، والتائب الحقيقي لا يُحرم أبداً من الغفران والرضى الإلهي، ومن التعاليم الأساسية في ألدين اليهودي أن الله يغفر مجاناً خطايا التائب». فالتوبة هي الرجوع عن الشر والتحول إلى الله. هي تغيير اتجاه الإنسان نحو الله وتغيير في سلوكه في الحياة، وثورة للإصلاح الديني والخلقي في الفرد والجماعة.

ويقول أحد المفكرين: إن اليهودي يمكنه أن يقبل التعريف المسيحي للتوبة الوارد في أصول الإيمان الوستمنستري، إذا حذفت منه كلمتان فقط وهما «في المسيح»، ذلك لأن تعريف التوبة في أصول الإيمان هو: «التوبة للحياة هي نعمة خلاصية بها يرجع الخاطيء -بعد أن يشعر بخطيئته ويدرك رحمة الله في المسيح- إلى الله تعالى حزيناً عليها،

كارهاً إياها، ويعزم عزماً ثابتاً أن يطيع الله طاعة جديدة ويجتهد في ذلك»(٢٣)

فهل يعني هذا أيضاً أن المسيحية قد أخذت الدعوة إلى التوبة من الأسينيين؟

إن الدعوة إلى التوبة هي هدف كل دين، لأنها الوسيلة الوحيدة للرجوع إلى الله وإقامة علاقة صحيحة معه، فهي دعوة كل دين وكل مرسل من الله، وهي تراث الإنسانية المشترك.

المعمودية:

أما القول بأن يوحنا كان يعمد، لأن الأسينيين اتخذوا من المعمودية رمزاً للتطهير من كل شهوة فهو قول يجافي الحقيقة كثيراً للأسباب التالية:

١ - «لقد كانت المعمودية إحدى الطقوس والعادات اليهودية، فلو أراد شخص أن يقبل

الإيمان اليهودي كان عليه أن يعمل أشياء ثلاثة: فكان يجب أن يُختتن وأن يقدم ذبيحة وأن يعتمد.

وتفصيلات المعمودية اليهودية كانت كما يلي:

«كان الشخص الذي يعتمد يحلق شعره ويقص أظافره ويتجرد تماماً من ملابسه، وكان يجب أن يحتوي حوض المعمودية على برميلين من الماء، ويجب أن يتلامس الماء مع كل أعضاء جسم الإنسان. وكان يعترف بإيمانه أمام ثلاثة رجال كان يُطلق عليهم اسم آباء المعمودية، وبينما الشخص بعد في الماء كانت تتلى عليه أجزاء من الناموس، كما كانت تقدم له كلمات التشجيع وينطقون بالبركات، وحالما يصعد من الماء يصبح عضواً في الإيمان اليهودي. فعن طريق المعمودية يدخل في الإيمان اليهودي»(٢٤)

أي أن المعمدان لم يأخذ العماد من الأسينيين، بل هي طريقة اتبعها اليهود في عماد الدخلاء أي المهتدين من الأمم.

٢ - إن الاستحمام الجماعي عند الأسينيين كان قاصراً على جماعتهم، أما عماد يوحنا المعمدان فكان متاحاً للجميع (مر ١: ٤).

٣ - إن الاستحمام الجماعي كان يتم مرتين يومياً أي أنه متكرر، أما معمودية يوحنا فكانت تتم مرة واحدة فقط في كل عمر الإنسان.

٤ - «ثم أن هناك فوارق كثيرة بينه وبينهم تمنع انتسابه إليهم:

أ- استقامته كحد السيف والتي تُوجب عليه أن يحافظ على نذرهم وقسمهم، أن لا يأكل إلا من أكل الجماعة، أما هو فكان طعامه من الجراد وعسل البرية (مر ١: ٦). ففي

طريقة معيشته، من الواضح أنه ينفصل عنهم. وهذا في شرعة الجماعة يستحق الطرد، فهل من المعقول أن يخون يوحنا المعمدان نذره، فيعرض نفسه للطرد، أيكون نبي الله خائناً لنذره.(٢٥)

ب- إن جماعة قمران كانت على خلاف شديد مع سلطات الهيكل، فهل من المعقول أن يوفدوا إليه وفداً منهم يستطلع أخباره: هل هو المسيح؟ يو ١: ١٩ - ٢٨ ,

جـ- إن دعوة الأسينيين كانت قاصرة على اتباعهم مع قسم بالمحافظة على تعاليمهم السرية، أما دعوة يوحنا المعمدان، فقد كانت للجميع وبلا أسرار.

د- جماعة قمران كانت تمتنع عن الزواج، بينما تلاميذ المعمدان مثل بطرس. وأندراوس ويعقوب كانوا متزوجين، فيوحنا

وإن عاش بتولاً، لكنه لم يطلب من تلاميذه البتولية.

هـ- كانت جماعة قمران تؤمن بمسيحين (مسيح من نسل داود، وآخر هاروني من نسل لاوي). أما دعوة المعمدان، فهي إلى مسيح واحد من نسل داود وهو يسوع الناصري (مت ٣: ١١ - ١٧، مر ١: ٧ - ٨، يو ١: ١٩ - ٣٥).

بهذه الأسباب الموجزة نستطيع أن ننفي انتساب يوحنا المعمدان إلى الأسينيين، وإلى جماعة قمران وننفي أيضاً كونه همزة الوصل بينهم وبين الدعوة المسيحية.

الأسينيون والمسيحية:

يقول البعض إن هناك تشابهاً بين المسيحية والأسينية وبدراسة هذا الموضوع نجد أن هناك اختلافات جوهرية تلغي أي

تشابه، وحتى إن وجد تشابه في بعض المظاهر والتقاليد فهو نتيجة للتراث الديني والثقافي المشترك.

يقول الأستاذ عباس العقاد: «إن الجديد في الأمر لا يزال من عمل السيد المسيح أو من فتوحه المبتكرة في عالم الروح، وأن كل مشابهة بينه وبين مذاهب الدين قبل عصره تنتهي عند الظواهر والأشكال ولا تدل على فضل أسبق من فضله فيما ارتقت عقائد الدين على يديه».(٢٦)

وإليك بعض الاختلافات:

١ - أن الأسينيين كطائفة يهودية متطرفة تتخذ الناموس قانوناً مُلزماً لهم، أما المسيحيون فالناموس بالنسبة لهم قد كَمُل في عهد النعمة «لأن الناموس بموسى قد أعطي، أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا» (يو ١: ١٧). والمسيح قد افتدانا من لعنة الناموس (غل ٣: ١٣)، والناموس كان

مؤدبنا إلى المسيح لكي نتبرر بالإيمان، ولكن بعد ما جاء الإيمان لسنا بعد تحت مُؤدب (غل ٣: ٢٤ – ٢٥).

٢ – أن الأسينيين يؤمنون أن الخلاص باتباع وصايا الناموس، أما في المسيحية فالخلاص والتبرير بالإيمان بالمسيح يسوع «ليس بأحد غيره الخلاص. لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص» (أع ٤: ١٢) ولأن ابن الإنسان قد جاء ليخلص ما قد هلك (مت ١٨: ١١) وبهذا شهد الرسول بولس: «صادقة هي الكلمة ومستحقة كل قبول أن المسيح يسوع جاء إلى العالم ليخلص الخطاة» (١تي ١: ١٥)، «إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس بل بإيمان يسوع المسيح، آمنا نحن أيضاً بيسوع المسيح لنتبرر بإيمان يسوع لا بأعمال الناموس. لأنه بأعمال الناموس لا

يتبرر جسد ما (غل ٢: ١٦). و« لأنه إن كان بالناموس بر فالمسيح مات بلا سبب» (غل ٢: ٢١).

٣ - الأسينيون كانوا يتوقعون مجيء إيليا قبل مجيء المسيح ليمهد له الطريق - اعتقاد يهودي - أما المسيح فقد أعلن أن يوحنا المعمدان قد أتى بروح إيليا (مت ١١: ١٣ - ١٤).

٤ - كان الأسينيون ينتظرون مسيحين (كما أسلفنا)، أحدهما مسيح كهنوتي يأتي من سبط هارون والآخر مسيح سياسي وهو مسيا إسرائيل، وأن المسيا الهاروني في نظرهم أكثر أهمية، وهذا يرجع إلى رد فعل الظروف السياسية التي عاشوا فيها واستيلاء المكابيين على السلطة السياسية والسلطة الكهنوتية التي ليست من حقهم،

حيث أنهم ليسوا من سبط الكهنوت (سبط لاوي).

أما المسيحية فتؤمن أن المسيا هو واحد قد أتى وهو شخص المسيح يسوع، وأنه من سبط يهوذا وهو قد أتى لخلاص العالم من الخطية، وهو ليس مسيحاً سياسياً.

وقد تنبأ عنه العهد القديم في تك ٤٩: ١٠ «لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع شعوب» وفي ميخا ٥: ٢ «وأما أنت يا بيت لحم أفراته وأنت صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا فمنك يخرج لي الذي يكون متسلطاً على إسرائيل ومخارجه منذ القديم من أيام الأزل» وفي زك ٩: ٩ «ابتهجي جداً يا ابنه صهيون. اهتفي يا بنت أورشليم هوذا ملكك يأتي إليك هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان».

وقد بشر الملاك بميلاده «فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم» (مت ١: ٢١).

وقد أعلنه يوحنا المعمدان وشهد له قائلاً: «هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم» (يو ١: ٢٩). وله شهد بطرس الرسول «أنت هو المسيح ابن الله الحي» (مت ١٦: ١٦).

(٥) الأسينيون طائفة منغلقة على ذاتها لا تقبل ضمن أفرادها إلا من يقوم بفروض عنيفة ويخضع لفترة اختبار قاسية تتراوح بين سنتين وثلاث سنوات.

أما المسيحية فديانة مفتوحة للجميع، لكل من يتوب عن خطاياه ويعلن إيمانه، فالمسيح قد أتى للجميع «لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع... ليس يهودي ولا يوناني. ليس عبد ولا حر. ليس ذكر وأنثى. لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع» (غل ٣:

٢٦ – ٢٨). «ولأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣: ١٦).

وقد أرسل المسيح تلاميذه لبشارة العالم أجمع «وقال لهم اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها» (مر ١٦: ١٥) وأيضاً قال لتلاميذه: «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم» (مت ٢٨: ٢٩) فالمسيحية ديانة مفتوحة ودعوتها للجميع والمسيح يقول: «من يقبل إليّ لا أخرجه خارجاً» (يو ٦: ٣٧).

(٦) الأسينيون طائفة متزمتة× في حفظ الناموس والفروض، متشددة ومتطرفة في التطبيق الحرفي لوصايا الناموس، وقد ظهر

× يقول الأستاذ العقاد فى كتابه «حياة المسيح» ص ١٣
«لاشك أن اللفائف المكشوفة (مخطوطات البحر الميت) ذو خبرة نافعة فى بابها، ولكنها لا تضيف إلي معلوماتنا عن حقائق الرسالة المسيحية، ولا تخرجنا بشيء جديد فى أمر هذه الرسالة، غير أنها تؤكد لنا فضلها ولزومها فى أوانها، فمهما يكن من غرض النحلة

تزمتهم وضيق أفقهم وحرفيتهم في كثير من الأمور .منها:

أ- مغالاتهم في تقديس يوم السبت.

فيوم السبت من يحفظ طفلاً لا يجوز أن يحمله ولو مات بكاء. ويوم السبت إذا وقع رجل في بئر أو حفرة لا يحل رفعه بسلم أو بحبل أو أي آلة أخرى ولو مات في البئر »(٢٧)

وفي كتابهم « اليوبيلات »×ص ٥٠، نقرأ عن

الأسينية، فهي في أصولها وفرعها بقية محافظة علي تراثها ومتشددة في محافظتها... ولهذه الأمة الوبلية آفة التشدد في عبادة المراسيم والنصوص، كانت الدعوة المسيحية رسالة لازمة تعلم الناس ما هم في حاجة أن يتعلموه. فكما غرقوا في لجة راكدة من الحروف الميتة والأشكال المتحجرة،تعلمهم أن العقيدة مسألة فكر وضمير، لا مسألة حروف وأشكال. وهذه هي رسالة المسيح في ذلك العصر الموبوء بجموده وريائه علي السواء» ويقول أيضاً: «ولم تقم دعوة المسيح علي الحروف والنصوص، بل قامت لتحرير الضمائر من ربقة الحروف والنصوص». (ما يقال عن الإسلام ط. دار الهلال ص ١٢٠-١٢١)

×كتاب اليوبيلات: من كتب الأبوكريفا، وقد وُجدت منه نسخة في

التعاليم الخاصة بحفظ السبت، منها أن مجرد التفكير في العمل، أو الاعداد لسفر، أو التفكير في البيع أو الشراء، أو سحب ماء من بئر، أو حمل أي ثقل ممنوع يوم السبت، ومن يعمل يوم السبت أو يفلح أرضاً، أو يوقد ناراً، يجب أن يموت. كان حفظ هذه التشريعات في نظرهم حفظاً لناموس الله، وأن كسرها مخالفة لناموس الله»(٢٨)

أما المسيح فقد قال: «السبت إنما جعل لأجل الإنسان، لا الإنسان لأجل السبت، إذا ابن الإنسان هو رب السبت» (مر٢: ٢٧- ٢٨).

مخطوطات البحر الميت، وقد كُتب هذا الكتاب في منتصف القرن الثاني قبل الميلاد» (المسيح في الأناجيل ص ١٢١) .

وهو عبارة عن تعليقات علي سفر التكوين، قُسم فيه الزمن إلي عصور، امتاز كل عصر بيوبيل (عيد) خاص، ويدّعى أن غرضه إظهار أن الشريعة كانت تلاحظ من أقدم العصور، وبه تفصيلات خاصة بحفظ يوم السبت»

- وقد سمح المسيح لتلاميذه أن يقطفوا السنابل يوم السبت لأنهم جياع، واضعاً حاجتهم الإنسانية قبل الطقوس (مت ١٢: ١ - ٨، مر ٢: ٢٣ - ٢٨، لو ٦: ١ - ٥).

- وأيضاً شفى المسيح المرضى يوم السبت مثل:

شفاء ذو اليد اليابسة «وإذا إنسان يده يابسة. فسألوه قائلين: هل يحل الإبراء في السبوت لكي يشتكوا عليه فقال لهم: أي إنسان منكم يكون له خروف واحد، فإن سقط في السبت في حفرة أفما يمسكه ويقيمه، فالإنسان كم هو أفضل من الخروف. إذا يحل فعل الخير في السبوت، ثم قال للإنسان مد يدك فمدها. فعادت صحيحة» (مت ١٢: ٩ - ١٣، وأيضاً لو ٦: ٦ - ١١).

وأيضاً شفى المرأة المنحنية وقال لهم: هذه وهي ابنة إبراهيم قد ربطها الشيطان

ثماني عشرة سنة أما كان ينبغي أن تحل من هذا الرباط يوم السبت» (لو ١٣: ١٠ - ١٧).

وأيضاً شفى المستسقي (لو ١٤: ١ - ٦، يو ٧: ٢٠)، وفتح عيني الأعمى منذ ولادته (يو ٩: ١٣ - ١٧). من هذه النصوص نرى أن دعوة المسيح «السبت وضع لأجل الإنسان لا الإنسان لأجل السبت» أي يحل عمل الخير وشفاء المرض، وتلبية الحاجات الإنسانية يوم السبت، بعكس تطرف الأسينيين والمتزمتين. وأيضاً يحل الدفاع عن النفس يوم السبت (١مل ٢: ٣١ - ٣٨) (قُتل اليهود بقيادة يهوذا المكابي لتقديس يوم السبت، لذلك سُمح بالدفاع عن النفس يوم السبت).

(ب) الطقسية في اتباع التقويم

لقد كان موقفهم من التقويم لا يختلف عن

موقفهم من الناموس، وقد لُقبوا بـ «أخصائيي التقويم» إذ أنهم كانوا يؤمنون بأن تعييد عيد ما وفق التقويم الصحيح له صلة وثيقة بالخلاص.

ويُعرف من كتاب «اليوبيلات»(٢٩) أن جماعة قمران كانت تستعمل تقويماً شمسياً، تتألف فيه السنة من ٣٦٤ يوماً وفيها تقام الأعياد الرئيسية في نفس اليوم من الأسبوع كل سنة. وربما بقي هذا التقويم متداولاً بين اليهود حتى سنة ١٥٢ ق.م، إذ وصل المكابيون إلى رئاسة الكهنوت وتبنوا التقويم القمري الذي كان سائداً في العالم الهليني. وقد يكون القرار بادخال التقويم القمري سبباً في انفصال الأسينيين عن أورشليم وكهنوتها.

أما دعوة المسيح فقد كانت للحرية من الناموس (رو ٧: ٦) بواسطة الابن (يو ٨: ٣٦)

لذلك «فلا يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت» (كو ٢: ١٦).

«لما كنا قاصرين كنا مستعبدين تحت أركان العالم ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس... أتحفظون أياماً وشهوراً أو أوقاتاً وسنين... فاثبتوا إذاً في الحرية التي قد حررنا بها المسيح» (غل ٤: ٣ - ٤، ١٠، ٥: ١).

فدعوة المسيح -بعكس دعوة الأسينيين- دعوة للحرية من الطقوس في حفظ السبت والأيام والشهور والسنين والأعياد.

يقول «ستوفير»(٣٠) بشيء من التهكم أن يسوع لم يقل أبداً «اتبعوني وتبينوا تقويمي».

(ج) الطقسية في التطهير:

الأسينيون كطائفة يهودية لهم مفهومهم الخاص عن النجاسة، فقد ارتبطت فكرة النجاسة عندهم بالأشياء المادية المظهرية، فمثلاً مصافحة أو لمس الإنسان الخاطيء أو الأممي تؤدي إلى النجاسة، لمس الإنسان الميت والمرأة بعد الولادة ولفترة معينة يؤدي إلى النجاسة، وأيضاً تناول أطعمة أعدت بواسطة غيرهم يؤدي إلى النجاسة، لذلك كانوا يتناولون الطعام المعّد بمعرفتهم، وكان الحرمان من طعام الجماعة لفترة محددة أحد العقوبات الخاصة بهم، ولم يكن الأسينيون يذهبون إلى الهيكل خوفاً من التنجس عن طريق الاختلاط بالآخرين (الخطاة والأمم).

والإنسان النجس لا يستطيع أن يعبد الله، لذلك يلزم التطهير.

وعندما بدأ المسيح رسالته أراد أن يصحح هذا المفهوم اليهودي والمتطرف الذي أصبح عبئاً يُثقل كاهل الكثيرين. وهنا نرى الفارق بين تعاليم المسيح وتعاليمهم بخصوص النجاسة والتطهير.

«حينئذ جاء إلى يسوع كتبة وفريسيين الذين من أورشليم قائلين: لماذا يتعدى تلاميذك تقاليد الشيوخ. فإنهم لا يغسلون أيديهم حينما يأكلون خبزاً... ثم دعا الجمع وقال لهم: اسمعوا وافهموا ليس كل ما يدخل الفم ينجس الإنسان، بل ما يخرج من الفم فمن القلب يصدر، وذاك ينجس الإنسان.... لأن من القلب تخرج أفكار شريرة، قتل، زنى، فسق، سرقة شهادة زور، تجديف هذه هي التي تنجس الإنسان. وأما الأكل بأيد غير مغسولة فلا ينجس الإنسان» (مت ١٥: ١ – ٢٠) (اقرأ أيضاً مر ٧: ١٠، كو ٢: ٨، رو ١٤: ١٤ – ١٧، أع ١: ١٥، ١تي ٤: ١٥، يع ٣: ٦).

هنا يصحح المسيح المفهوم المتطرف عن النجاسة، وفي مت ٩: ١٠ - ١٣ يصحح المفهوم الخاطيء عن النجاسة بالاختلاط «وبينما هو متكيء في البيت إذا عشارون وخطاة كثيرون قد جاءوا واتكأوا مع يسوع وتلاميذه فلما نظر الفريسيون قالوا لتلاميذه: لماذا يأكل معلمكم مع العشارين والخطاة. فلما سمع يسوع قال لهم: لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى. فاذهبوا وتعلموا ما هو. إني أريد رحمة لا ذبيحة. لأني لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة».

وقد تطرف الأسينيون (جماعة قمران) حتى اعتزال الناس وعدم الاختلاط بهم خوفاً من النجاسة، أما المسيح وتلاميذه فقد اختلطوا بالجميع - الأبرار والأشرار - لأنه لا نجاسة بالاختلاط.

(٧) الاغتسال الجماعي والمعمودية:

يرى البعض أن هناك تشابهاً بين الاستحمام الجماعي الذي يمارسه الأسينيون والمعمودية التي يمارسها المسيحيون ، وكما سبق وذكرنا عند الحديث عن يوحنا المعمدان والمعمودية، إن الاغتسال الذي يمارسه الأسينون هو استحمام جماعي يتم مرتين في اليوم ربما بهدف التطهير، وهو قاصر على جماعتهم فقط، أما المعمودية في المسيحية فهي إعلان واشهار الإيمان بالمسيح يسوع ويسبقها الاعتراف بالخطيئة (مت ٣: ٦). والتوبة (أع ٢: ٣٨). والإيمان (أع ٨: ٢٧، أع ١٨: ١٨). وهي تشير إلى التجديد الداخلي والروحي (يو ٣: ٣ – ٦، رو ٦: ٣ – ١١).

وذكرنا أيضاً أن المعمودية ليست طقساً أسينياً فقط، بل هي طقس يهودي، كان يُمارس عند دخول الأممي إلى اليهودية،

ويسمى «عماد الدخلاء» فهو تراث وتعليم مشترك.

ويرى الأب الحداد: «العبرة في جوهر الدعوة، لا في تشابه بعض التعابير وبعض التقاليد، ولا ضرر على الدعوة الرسولية إذا كانت قد اقتبست عنهم بعض عوائد سلوكها. فالسر كل السر في الجواهر لا في الظواهر»(٣١)

(٨) الطعام المشترك:

كان الأسينيون (جماعة قمران) يتناولون الطعام معاً، لأنهم كانوا يعتبرون الطعام المعد بواسطة غيرهم نجساً، ولا يحق لأي فرد منضم إلى الجماعة أن يتناول غير هذا الطعام، لذلك كان من العقوبات المستخدمة الحرمان من الأكل لبعض الوقت.

وكان المسيحيون الأوائل يشتركون معاً

في تناول الطعام (أع ٢: ٤٤ - ٤٦، أع ٤: ٣٢ - ٣٧) ومن هنا رأى البعض أن هذا تشابه بين الأسينيين والمسيحيين. ولكن هناك فوارق عديدة في كلا الممارستين:

- ففي الأسينية هذا طعامهم الوحيد ولا يحق لهم تناول أي طعام غيره، وهذا الطعام من إعدادهم -أي من إعداد أحد المنضمين إليهم- لأن الطعام المعّد بواسطة غيرهم نجس، وهذا الطعام متكرر يومياً.

- أما في المسيحية. فليس هذا هو طعامهم الوحيد، بل هو فرصة للمحبة الأخوية والشركة معاً وتنمية للروابط فيما بينهم، ويُعد بواسطة أي واحد، لأن نظرتهم ومفهومهم عن النجاسة قد تغير بعد تعاليم المسيح لهم.

أما العشاء الرباني في المسيحية، فهو ليس لتناول الطعام، بل تذكار لآلام المسيح وموته الكفاري وتنفيذ لوصية المسيح «اصنعوا هذا لذكري» (١كو ١١: ٢٤).

(٩) العلاقة بالأعداء:

من تعاليم الأسينيين بغض الأعداء، فقد جاء في كتاب «الطاعة»(٣٢) أو قانون الجماعة× «كل من أراد الانضمام إلى الجماعة يجب أن يأخذ على نفسه عهد باحترام الله والإنسان... وأن يسير بدون عيب أمام الله ويحافظ على كل ما أعلن له... وأن يحب أولاد النور كلا بحسب دعمه لجماعة الله، وأن

× كتاب النظام أو قوانين الجماعة: تعتبر هذه الوثيقة أهم مصدر لمعرفتنا بهذه الطائفة الدينية فى وادى قمران. وهى تبدأ ببيان الأمور التى يجب توافرها فيمن يشتهون «الدخول فى العهد الجديد» ثم يلى ذلك ذكر الطقوس اللازمة للانضمام للجماعة ويتناول جزء من النص تعاليم جماعة قمران عن الإنسان، ثم بعد ذلك قوانين الجماعة». (دائرة المعارف الكتابية جـ٢ ص ٩٣).

يبغض أولاد الظلمة كلا بحسب مقياس أثمه الذي سيجازيه الله عليه».

بينما المسيحية هي دين المحبة، وشعارها الله محبة، ودعوتها ليست إلى محبة الأقرباء فقط، بل تسمو إلى محبة الأعداء، فقد قال السيد المسيح: «سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك× وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم. أحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم» (مت ٥: ٤٣ – ٤٤، لو ٦: ٣٥، ٣٧) وجاء في رو ١٢: ١٤، ٢٠ «باركوا على الذين يضطهدونكم باركوا ولا تلعنوا.. فإن جاع عدوك فأطعمه وإن عطش فاسقه». فهل

× إن عبارة «ابغض عدوك» لا توجد فى العهد القديم ولا فى الأدب الربانى بل فى مخطوطات البحر الميت. فمن الجائز القول بان يسوع عندما تفوه بهذا المقطع من الموعظة علي الجبل كان يجول فى خاطره تعليم جماعة قمران، فأدان تعاليمها (المسيح فى الأناجيل، ص ٦٩).

من هذا نرى أي تشابه بين المسيحية والأسينية؟.

(١٠) موقفهم من الزواج (موقفهم من المرأة)

لقد امتنع الأسينيون عن الزواج نتيجة لاحتقارهم للمرأة واعتبارها عائقاً في الوصول إلى الصلاح والحق، وأن من يتزوج يرتكب خطية النجاسة وليس له حق التواجد معهم.

أما دعوة المسيح فإنه لا فرق بين ذكر وأنثى وأن الجميع واحد في المسيح (غل ٣: ٢٨)، وقد أخذت المرأة مكانتها في الحياة والخدمة المسيحية.

بل أن المسيح نفسه هو نسل المرأة (تك ٣: ١٥، غل ٤: ٣ – ٤). وقد قدس المسيح الزواج بحضوره حفل عرس قانا الجليل واجرائه أول معجزة له هناك.

وقد أوضح الرسول بولس العلاقة بين الرجل والمرأة، بأن «الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح أيضاً رأس الكنيسة» (أف ٥: ٢٣). والزواج في المسيحية ليس شيئاً نجساً يفصل الإنسان عن الجماعة، بل هو مكرم «ليكن الزواج مكرماً عند كل واحد» (عب ١٣: ٤)، بل اعتبرت المسيحية من يدعو للمنع عن الزواج مرتداً «ولكن الروح يقول صريحاً إنه في الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الإيمان تابعين أرواحاً مضلة وتعاليم شياطين في رياء أقوال كاذبة، موسومة ضمائرهم مانعين عن الزواج وآمرين أن يمتنع عن أطعمة قد خلقها الله لتتناول بالشكر من المؤمنين» (١تي ٤: ١ – ٣).

وأوصى الكتاب المقدس الرجال بأن يحبوا نساءهم كما أحب المسيح الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها (أف ٥: ٢٥). والمسيح في حياته

على الأرض تعامل مع المرأة، ففي (لو ١٠: ٣٨ - ٣٩) نجد يسوع في بيت مريم ومرثا، ومريم عند قدميه تسمع كلامه، وفي (لو ١١: ٢) نجد مريم تدهن قدمي يسوع بالطيب وتمسحهما بشعرها، وفي (يو ٤) نجد حديث المسيح مع السامرية عند بئر يعقوب.

وهكذا نجد أن المسيح لم يمنع تابعيه من الزواج، بل قدسه وقد سمح للمرأة الزانية التي تابت أن تقبل قدميه وتمسحهما بشعر رأسها (لو ٧: ٣٦ - ٥٠) ولم يخش أن يتنجس منها، وأيضاً لقد سمح لنازفة الدم أن تلمسه، رغم أن هذا يعتبر نجاسة في العرف اليهودي، وشفاها (مت ٩: ٢٠ - ٢٢).

«فإننا من خلال تعاليم السيد المسيح، وتصرفاته يمكننا أن نكتشف القيم والمباديء التالية:

١ - المرأة إنسان.

فالمسيح لم يقلل من إنسانيتها أو من قيمة أنوثتها. وعامل المرأة كما عامل الرجل.

٢ – حرر المرأة من سلطان الرجل الظالم.

نادى المسيح بعدم السماح للرجل أن يطلق امرأته إلا لعلة واحدة وهي الزنى. وبذلك حرر المسيح المرأة من سلطان الرجل الذي كان يطلقها لأتفه الأسباب. وكان قرار المسيح بعدم الطلاق حماية للمرأة من عبث الرجل واستقراراً للأسرة (مت ٥: ٢٧، ٣٢).

٣ – سمح المسيح بتعليم المرأة.

عندما علم المسيح الجماهير سمح للنساء بالحضور والتعلم (مت ١٤: ٢١). بل أن مريم اختارت النصيب الصالح بجلوسها عند قدمي المعلم والتتلمذ على يديه (يو ١١: ١).

٤ – قبل المسيح اتباع المرأة له.

إن اتباع النسوة للمسيح، لم يكن لمجرد

الاستماع، بل للتلمذة. لقد تبع المسيح مؤمنات به، قادرات على صنع مشيئة الله... بل إن النسوة رافقن المسيح في سفراته (لو ٨: ١ – ٣) وكن معه عند الصليب.

٥ – قبل المسيح خدمة المرأة.

فهناك المرأة التي سكبت عليه قارورة الطيب، بل أن كثيرات كن يخدمنه من أموالهن (لو ٨: ٢ – ٣) وقد كلف المجدلية باعلان خبر قيامته».(٣٣)

ومن هنا نرى الفارق بين موقف المسيح والمسيحية من المرأة وموقف الأسينيين.

(١١) التشابه في بعض التعبيرات:

وُجد أن هناك تشابهاً في بعض التعبيرات الثنائية مثل النور والظلمة، الحقيقة وبالكذب، الروح والجسد، الحياة التي

من فوق والحياة من أسفل في مخطوطات قمران وإنجيل يوحنا.

وأيضاً ما جاء في ٢كو ٦: ١٤ وأيضاً وصف سلاح المجاهد الروحية أف ٦: ١١ - ٢٤ .

وللرد على هذه النقطة، نقول مع الأب الحداد: «إن هذه صلة محدودة والموافقة هي في التعبير، وهو تراث مشترك، ولكن التفكير والدعوة والعقيدة على طرفي نقيض. ففي إنجيل يوحنا ورسائل بولس نرى:

- كان المسيح المنتظر قد أتى بينما هم حتى عام ٧٠م عند القضاء عليهم كانوا ما زالوا ينتظرون المسيح.

- المسيح الذي قد جاء هو الله المتجسد «الكلمة صار جسداً وحل بيننا» (يو ١: ١٤) وهذا يناقض الفكر الأسيني فليست العبرة

في الظواهر والتعابير؛ إنما العبرة كلها بالحقائق والعقائد. فالأدب القمراني كما يظهر من مخطوطاته، عالم توراتي بلغ ذروة التطرف ودعوة الإنجيل عالم آخر لم ترق إليه أحلامهم، ولا مثيل له عند بني إسرائيل، ولا في الدعوات المنتشرة في العالم، من قبل ومن بعد »(٣٤)

(١٢) الانضمام إليهم:

كان يشترط فيمن ينضم إلى الأسينيين أن يُزكي من أحد الأعضاء ثم يوضع تحت الاختبار لمدة ٢ - ٣ أعوام ثم إذا نجح يُقبل كعضو ويتقدم إلى الطعام المشترك.

وكانت هناك مواصفات خاصة لمن ينضم إلى هذه الجماعة، فقد وُجد نص في مخطوطات قمران جاء فيه « لا أحد من الحمقى والمجانين والسذج والمعتوهين والعمي والجدع والعرج والطرش والقصّر يستطيع

الدخول إلى وسط الجماعة لأن الملائكة القديسين في وسطها»(٣٥)

أما في المسيحية فالدعوة مفتوحة لكل من يؤمن أن يسوع المسيح هو ابن الله، وأنه مات وقام لأجل فدائه، بهذا يخلص ويصبح عضواً في كنيسة المسيح.

«فلما سمعوا نخسوا في قلوبهم وقالوا لبطرس ولسائر الرسل ماذا نصنع أيها الرجال الإخوة فقال لهم بطرس: توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح... فقبلوا كلامه بفرح واعتمدوا وانضم في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس... وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون» (أع ٢: ٣٧ – ٤٧). وقد أعلن السيد المسيح لا عيوب جسدية تمنع الإنسان من الدخول إلى ملكوت الله، ففي مثل العشاء العظيم قال رب البيت للعبد «اخرج عاجلاً

إلى شوارع المدينة وأزقتها وأدخل إلى هنا المساكين والجدع والعرج والعمي» (لو ١٤: ٢١).

المسيح ومعلم العدل:

كتب د. علي عبد الجليل راضي، «شهد الأستاذ اليهودي أندريه سومراستا، أستاذ اللغات القديمة» في جامعة السوربون وقال: «هذه الأوراق -مخطوطات قمران- جعلت عيسىٰ يظهر كأنه صورة مشابهة لمعلم الحق الأسيني الذي عاش قبل ميلاد عيسى بمائة سنة»(٣٦)

وكتب أنور الجندي، تحت عنوان «مخطوطات كهف قمران تثبت أن المسيح نبي وليس إلهاً أو ابن الإله» (هؤلاء الأسينيون كانوا طائفة يعتقدون أنهم ورثة عهد النبوة وكان ما عندهم من ملفات في الكهوف عندما فروا ليأمنوا شر الاضطهاد

الروماني الذي كان واقعاً عليهم في ذلك الحين. ويقول العلماء إن المسيح ربما يكون واحد من هؤلاء الأسينيين وأنه كان متأثراً إلى حد بعيد بطقوسهم وعقائدهم. وكان الأسينيون يعتبرون ثروتهم حصة مشتركة بينهم وأنهم يعتقدون بخلود الروح وتتحدث نصوصهم عن واحد منهم يعلو عليهم كثيراً ويسمونه «السيد الأكبر» المدهون بالزيت أو المسيح الذي اختاره الله تبارك وتعالى وتتحدث وثائق الأسينيين الذين كانوا يقيمون في الدير على مقربة من البحر الميت أنهم كانوا يشعرون بتسام روحي له شكر موجه إلى الله تبارك وتعالى الواحد الأحد.

وتتحدث الوثائق عن حياة هذا السيد أو المعلم، كان ينزل عليه وحي الله. ويقول (ج.ل فيتشر) -أحد أساتذة كمبردج وأحد المراجع

الأساسية في ملفات البحر الميت: إن معلم البر والتقوى الذي يتحدث عنه الأسينيون هو نفسه يسوع المسيح ولا أحد غيره. ويقول جون كلارك صاحب بحث ... عن الوثائق، أنه من الممكن أن المسيح عاش قبل مائة سنة من التاريخ الذي أجمع الناس عليه حتى الآن.

... ولم يمض على ذلك إلا سنوات قلائل حتى ظهر القس النصراني (بابك) الذي نشرت صورته مجلة تايم الأمريكية على غلافها في ١١ نوفمبر سنة ١٩٦٦ مع بحث مطول تحت عنوان (إنقلاب أو ثورة) أجراها القس بابك الذي أعلن أن السيد المسيح نبي وليس إلهاً أو ابن الإله. ويبدو أنه اعتمد في بحثه على الوثائق التي ظهرت في مغارة قمران. بدليل أنه قصد بعد ذلك إلى هذه المنطقة فأقام بها فترة منقباً وباحثاً حتى قضي نحبه وقد ألفت زوجته كتاباً معروفاً عن تجربته هذه »(٣٧)

الرد

«يعرف زعيم جماعة قمران بـ (معلم العدل) وكان غالباً ما ينتمي إلى الصدوقيين، يقال إنه استشهد على يدي (الكاهن الشرير) دون استطاعة تأكيد ذلك، ولكن حتى إذا صح ذلك فعلاً فجماعة قمران لا تعتبر عمله هذا خلاصياً وتمت محاولات عديدة لكشف هويته، كالقول مثلاً إنه مسيا المصلوب أو السابق للمسيح، لكن كبار علماء(٣٨) الكتاب المقدس لا يقبلون أيا من هذه الادعاءات وكان معلم العدل معلماً ومفسراً للناموس ولربما كان يُعلم بأن طاعة الناموس هي طريق الخلاص».(٣٩)

فمن هو «معلم البر» ومن هو «الكاهن الشرير» الذي قتله؟ ما زالت معلوماتنا غير وافية عنهما.

وعندما أُكتشفت مخطوطات قمران -كما

ذكرنا فيما سبق- اشترى مطران القدس السرياني مار أثناسيوس يشوع صموئيل أربعة منها، وحصل أ. ل. سوكنك -بالجامعة العبرية بالقدس- على ثلاثة مخطوطات، ونقلت المخطوطات التي حصل عليها المطران إلى الولايات المتحدة ثم اشترتها بعد ذلك الجامعة العبرية بالقدس.(٤٠) وقد نشر المجموعة الأولى م. ماروز، ج. تريفو، هـ براويلي وتشمل سفر إشعياء، شرح الأصحاح الأول والثاني من سفر حبقوق (أو بمعنى أصح هو محاولة لتطبيق النبوات التي وردت فيه على الحوادث المعاصرة لذلك العصر(٤١) ثم كتاب النظام أو قانون الجماعة.

«ومن لفافة التعليق على سفر حبقوق(٤٢) نرى أن الله أرسل (معلم العدل) ليعلن الدينونة التي ستحل بإسرائيل ونجاة

البقية الأمينة من إسرائيل (جماعة قمران) وقد رفض هذه الرسالة الكاهن الشرير وأتباعه الذين كانوا يهتمون بحرفية التوراة. وواضح أن الإشارة إلى الكاهن الشرير كانت تعني رئيس الكهنة في أورشليم. ولابد أنه قد حدث صدام معين في بدء تاريخ الجماعة بين المعلم البار ورئيس الكهنة الأورشليمي. وقد بلغ الصدام ذروته في يوم الكفارة حين قضى الكاهن الشرير على المعلم البار. وقد أدرك الأعداء الكاهن الشرير فوقع في أيدهم وهؤلاء الأعداء تلقبهم اللفافة بـ «الكتيم».

ولقد اختلفت الآراء في تحديد القوات الأجنبية المقصودة بـ «الكتيم».

فيرى البعض أنها القوات السلوقية لأنطيوخس الرابع أبيفانس (١٧٥ - ١٦٤ ق.م)، أو أنها قوات أسكندر جالوس (١٠٣ -

٧٦ ق.م) أو قوات الاحتلال الرومانية في فلسطين، وإذا كان المقصود هم الرومان، لكان ما تصفه اللفافة هو احتلال الرومان بقيادة بومبي، لليهودية في سنة ٦٣ ق.م. وفي هذه الحالة يكون الكاهن الشرير هو أسكندر جانوس أو أرستبولس الثاني وليس من الميسور الجزم في هذا الأمر.

وقد جاء في قصاصة بها تفسير مزمور ٣٧ ذكر لصراع بين المعلم البار والكاهن الشرير، ويذكر إرسال السماء «لمعلم البر» ليقوم باحتلال المدينة المقدسة والهيكل، ويذكر النص أن الكاهن الشرير جاء ليقتل المعلم البار ويذبح المستقيمين».

مما سبق نرى أن المعلومات حتى الآن غير كافية لإعطاء رأي جازم في من هو معلم البر والكاهن الشرير ولذلك القول بان عيسى صورة مشابهة لمعلم الحق الأسيني وأن معلم

الحق ينزل عليه الوحي، وأن معلم الحق هو نفسه يسوع المسيح أو أن المخطوطات تعلن أن المسيح نبي وليس إلهاً أو ابن الإله هي افتراضات بدون برهان وأقاويل لا أساس لها من الصحة، بل هي تخيلات تخيلوها ونادوا بها لأنها تخدم أغراضهم الخاصة وأفكارهم القاصرة.

وفي ضوء المعلومات التي لدينا نستطيع أن نعمل مقارنة بين المسيح ومعلم البر الأسيني

١ - المسيح من نسل يهوذا ومعلم البر غالباً من نسل الصدوقيين.

٢ - المسيح وُلد من عذراء ومعلم البر لم يقل عنه أحد ذلك.

٣ - المسيح جاء لخلاص العالم ومعلم البر زعيم جماعة ولا يستطيع حتى خلاص نفسه.

٤ - المسيح كان يخالط الخطاة والعشارين ومعلم البر كان يعتزلهم خوفاً من النجاسة.

٥ - المسيح قال عن نفسه أنا هو الطريق والحق والحياة. لا أحد يأتي إلى الآب إلا بي (يو ١٤: ٦)، ومعلم البر لا يستطيع أن يقول ذلك لأن الطريق إلى الحياة هو بتطبيق وصايا الناموس.

٦ - المسيح دعا إلى التثليث (مت ٢٨: ١٩) ومعلم البر دعوته قاصرة على التوحيد.

٧ - المسيح دعا إلى الحرية من الطقوس والسبت، أما معلم البر فهو مُطبق حرفي للناموس والطقس وشريعة السبت.

٨ - المسيح أعلن نفسه أنه المسيا المنتظر، ومعلم البر عاش ينتظر المسيا الآتي.

٩ - المسيح صُلب لفداء البشر من الخطية،

أما معلم البر فيقال إنه استشهد على يد الكاهن الشرير (غير معروف ولكن ذلك ليس عملاً فدائياً أو خلاصياً).

١٠ - المسيح كان معصوماً من الخطية، ومعلم البر كبشر خاطيء يمارس التطهير يومياً.

١١ - المسيح كان له سلطان عظيم على الطبيعة (هدوء البحر والعاصفة - يبوسة شجرة التين) أخرج الشياطين - شفاء المرضى - أقامة الموتى، أما معلم البر فهو بشر محدود لم تذكر المخطوطات أنه فعل شيئاً.

١٢ - المسيح أعلن وشهد عن نفسه أنه ابن الله، ومعلم البر بشر.

وكونه لا يوجد في مخطوطات قمران تعليم عن بنوية المسيح وإلوهيته، فهذا ليس

دليل نفي، لأنها مخطوطات الأسينية وليست المسيحية.

١٣ - المسيح أعلن مجيء ملكوت الله وأن الدعوة للملكوت للجميع ولكننا لا نجد في مخطوطات قمران تعليماً، أن ملكوت الله قد أتى فعلاً بل أن دعوتهم للانضمام للجماعة قاصرة على أفراد وبشروط معينة.

١٤ - المسيح سمح لتلاميذه بالأكل والشرب والاختلاط مع الخطاة والعشارين أما هم فالخاطيء في نظرهم نجس.

١٥ - المسيح نادى به تلاميذه وأتباعه رباً وإلهاً (أع ٢: ٣٦)، أما معلم البر فكان بالنسبة لأتباعه معلماً ولوصايا الناموس مفسراً وشارحاً.

١٦ - المسيح كان مسالماً ودعا للسلام وعند

ميلاده بشرت الملائكة بالسلام على الأرض، ومعلم البر أرسل ليقوم باحتلال المدينة المقدسة والهيكل.

١٧ – المسيح سوف يأتي ثانية (أع ١: ١١) ليدين المسكونة بالعدل، أما معلم البر كبشر فقد مات ولن يأتي ثانية بل سيقف أمام المسيح الديان يوم الدينونة ليُحاسب.

١٨ – المسيح كان في حياته على الأرض يجول يصنع خيراً ويشفي المرضى ويجري المعجزات أما معلم البر فقد اعتزل الناس ولم يُذكر عنه أنه صنع أية معجزة.

١٩ – المسيح أعلن أنه هو والآب واحد أي ساوى نفسه بالآب ومعلم البر بشر محدود مخلوق.

وهذا يؤكد لنا أنه لا علاقة بالمرة بين المسيح ومعلم البر.

توضيح لابد منه:

«هناك جماعة معينة أخرى ازدهرت في نفس عصر الأسينيين، وكانت بينهم وبين الأسينيين وجوه شبه كثيرة، وهي الجماعة المعروفة باسم «متعاهدي دمشق» وقد أُكتشف وجود هذه الجماعة من التنقيب في خزانة أحد المجامع بالقاهرة في سنة ١٨٩٦م وقد نُشرت بعض المخطوطات التي وُجدت تحت عنوان: «شذرات من مؤلف صدوقي»... وعندما كان الأثريون ينقبون في كهوف قمران، كشفوا عن بعض القطع من المخطوطات في الكهف السادس، وجدت مطابقة لجزء من «الشذرة الصدوقية» وقد تأيد هذا الكشف أيضاً بالكشف في الكهف الرابع عن سبع قطع من المخطوطات التي تحتوي على أجزاء من «الشذرة الصدوقية» وإذا جمعنا بين كل هذه المصادر، فإننا نجدها تدل على وجود صلة وثيقة بين الجماعة

الدينية التي كتبت مخطوطات قمران، والجماعة التي خلفت لنا «الشذرة الصدوقية»... والعلماء عموماً يجمعون بين جماعة الشذرة الصدوقية وجماعة قمران على اعتبار أن كليهما من الأسينيين، ولكن توجد بعض الفوارق الهامة بين ممارسات الأسينيين وممارسات جماعة قمران. وهذه الفوارق تسترعي النظر فواضح أن أتباع جماعة قمران لم يعتبروا أنفسهم أسينيين في حقيقتهم، حيث أن كلمة «الأسينيين» لا تذكر مطلقاً في لفائف البحر الميت، وبينما كان للأسينيين جماعات في كل قرية ومدينة في اليهودية، كما كانوا يختلطون كثيراً بالمجتمع حولهم، فإن جماعة قمران نهجوا سبيل الاعتزال ولم يكن لهم أي تعامل مع الذين هم من خارج جماعتهم، والدمشقيون وكذلك أصحاب عهد قمران لم يكونوا يثقون

في المرأة -على عكس معظم الأسينيين- ولكنهم كانوا يتفقون مع الأقلية من الأسينيين الذين كانوا يوافقون على الزواج ويبدو أن فترة الاختبار عند الأسينيين كانت تمتد إلى ثلاث سنوات، بينما لم تكن - على الأرجح- تزيد عن سنتين في قمران، وبينما كان الأسينيون مسالمين تماماً بطبيعتهم، فإن أتباع جماعة قمران لم يكونوا كذلك إذ كانت مخطوطاتهم العسكرية دليلاً على موقفهم، كما أن جماعة قمران لم تكن تتوجه إلى الشمس عند الفجر، كما كان يفعل الأسينيون حسب رواية يوسيفوس، الذي لعله كان يشير إلى جماعة شبه أسينية هم «الساموسيون» نسبة إلى مدينة ساموس (١مل ١٥: ٢٣) الذين كانت عندهم هذه العادة. هذه الفوارق تكفي للدلالة على أنه بالرغم من أن كلمة «أسينية» كانت في عصر ما قبل المسيحية، كلمة مطاطة، فإن

جماعة قمران يمكن اعتبارها فيهم بالمعنى العام ».(٤٣)

أختم هذا البحث عن الأسينيين بما كتبه العقاد:

« فإذا صح أن زمرة وادي قمران كانت تنتمي إلى الأسينيين، وصح أكثر من ذلك أن صومعتهم كانت البرية التي يلوذ بها السيد المسيح ويوحنا المعمدان. فالجديد في هذا الكشف هو تأكيد الحاجة إلى رسالة السيد المسيح، أو توكيد فضل الدعوة المسيحية في إصلاح عقائد القوم كما وجدتها على أرقاها وأنقاها بين أتباع النحل اليهودية قبل الميلاد.

والكتب الأسينية التي وُجدت في الصومعة تصف لنا نظام الجماعة وآداب سلوكها وشدة حرصها على الشعائر الموروثة بين قومها، ولكنها لا تزال مصابة بداء القوم

الذي انتهى إلى غاية مداه في تلك الفترة، هو داء الجمود على النصوص والحروف والانصراف عن جوهر العقيدة ولباب الإيمان ولا تزال النحلة الأسينية نفسها أدل على الحاجة إلى الإصلاح من النحل المتهمة أو المحاطة بالشبهات. لأن النحلة المتهمة تجد اصلاحها عند الراشدين من أبناء الديانة القائمة، وكل نحلة يهودية زائفة عن سواها تجد من يقوّمها من العارفين باستقامتها في نطاق الديانة اليهودية، ولكن الحاجة إلى الإصلاح إنما تثبت كل الثبوت إذا بلغت النحلة أرقى ما تبلغه واستنفذت كل طاقتها تهذيباً وتطهيراً وإخلاصاً وتذكيراً، ولم تزل بعد ذلك قاصرة عن تزويد الروح بما تتعطش له وتفتقر إليه، وكذلك النحلة الأسينية التي كشفت عنها لفائف وادي قمران، أيا كان اسمها وأية كانت وجهتها فإنها لم تمهد لرسالة السيد

المسيح إلا كما يمهد المريض للعلاج أو يمهد الداء للدواء»(٤٤)

ويقول عن الرسالة المسيحية إنها: «الرسالة التي تقيم العلاقات بين الناس على المحبة لا على حروف القانون، وتعلمهم أن العبادة وجدان وضمير لا حركات جوارح ولا حروف كلمات، وتطلب ممن يدين الناس أن يدين نفسه قبل أن يدين الخاطئين والخاطئات، بل توحي إليهم أن الخطية الظاهرة أقرب إلى التوبة والغفران من الصلاح الظاهر ومن ورائه الباطل المستور والكذب الدفين»(٤٥)

ويقول عن المسيح: «ولا نعرف عن نشأته في طفولته غير القليل ولا نعرف شيئاً عن أيامه من الثانية عشرة إلى الثلاثين مبعثه إلى قومه بني إسرائيل... ولكنه عليه السلام

قد جاء بالفتح المبين الذي لم يسبقه إليه سابق من المرسلين في تصحيح الشرائع بجملتها، فقد حطم عنها قيود النصوص ونقلها إلى مقياسها الصحيح وهو مقياس الضمير. ومن تحطيم النصوص أن يكون أبناء النبي هم أتباعه بالروح وأن لم يكونوا من ذريته بالجسد، ومن تحطيم النصوص كذلك أن يكون الخير في ضمير الإنسان لا في مظهر من مظاهر العالم. فإن ملك ضميره فقد ملك كل شيء وأن ضيع ضميره لم يغن عنه العالم بما وسع من أناس وحكام»(٤٦)

المراجع

(١) إيماننا الأقدس، الأنبا يؤانس، ص ٢٧ ط١، سنة ١٩٧٩ .

(٢) تاريخ الفكر المسيحي، د. القس حنا جرجس الخضري، جـ١، ص ١٥٨، ط١ .

(٣) دائرة المعارف الكتابية، جـ١، ص ٦٠، «الأناجيل الأسطورية».

(٤) المسيح قادم، د. علي عبد الجليل راضي، ص ١٧٤ ط١، سنة ١٩٦٠ .

(٥) من وحي المسيح، ميخائيل نعيمة، ص ٢٩، ٣٥، ط١ سنة ١٩٧٤.

(٦) عيسى في الخالدين، محمد عطا، ص ٣٧، نقلاً عن «قيصر والمسيح» مجلد ٣، ص ١٧٥ .

(٧) المراجع:

أ- مقدمة قصة بطل، د. عزت ذكي.

ب- عصر المكابين، م. إسحق لطفي.

جـ- أنطاكية القديمة، جلانفيل داوني، ترجمة د. إبراهيم نصحي.

د- موجز تاريخ العالم جـ١، وليام لانجر، أشرف على الترجمة د. محمد مصطفى زيادة.

هـ- دائرة المعارف الكتابية، جـ١، المحرر وليم وهبه.

و- الأسفار المحذوفة، ط كنيسة السيدة العذراء بالفجالة.

(٨) المسيح في الأناجيل أو الكنيسة والنقد الكتابي الحديث، ف. كيزيتش، تعريب الأب ميشال نجم. ص ٦٧.

(٩) المراجع:

أ- دائرة المعارف الكتابية، جـ١، ص ٢٩٦ - ٣٠٤ «الأسينيين»، جـ٢، ص ٩٢٨٥، مخطوطات البحر الميت.

ب- الكتاب الأول لرابطة الكتاب المسيحيين ٥٥ / ١٩٥٦. «أضواء من مغاور قمران»، د. أنيس فريحة، ص ٥٨ - ٧٣ .

جـ- المسيح في يوسيفوس، المؤرخ اليهودي، د. عزت ذكي، ص ٥٥ - ٦٠.

د- مصادر الوحي الإنجيلي، الأب يوسف درة الحداد، ص ٦٠٥ - ٦١٢ .

هـ- مجلة المسرة، عدد ٥٩٩، ص ٨٤٣ - ٨٤٧ «فحوى مخطوطات قمران» قيصر صادر.

(١٠) آثار فلسطين، وليم ف. أولبريت،

ترجمة د. ذكي إسكندر، د. محمد عبد القادر، ص ٢١٤ - ٢١٥، سنة ١٩٧١ .

(١١) مجلة المسرة، عدد ٢٩٩ .

(١٢) المراجع: المصادر السابقة مضافاً إليها

أ- الأحجار تتكلم، جون الدر، تعريب د. عزت ذكي.

ب- المدخل إلى العهد الجديد، د. القس فهيم عزيز.

جـ- "Dead Sea Scrolls", The Interpreter's Dictionary of The Bible (NewYork Abingdom Press,1902). vol.1,pp.790-803.Essenes,op.cit, vol.2,pp.143-148.

(١٣) المدخل إلى العهد الجديد، د. القس. فهيم عزيز، ص ٤٧ .

(١٤) تاريخ الكنيسة، د. جون لوريمر، جـ١، ص ٣٧ .

(١٥) مجلة المسرة، قيصر صادر، «فحوى مخطوطات قمران» عدد ٥٩٩، ص ٨٤٦ .

(١٦) من وحي المسيح، ص ٣٠، ١٣٥ .

(١٧) عيسى في الخالدين، محمد عطا، ص ٣٧، نقلاً عن «قيصر والمسيح» مجلد٣، جـ ٣، ص ١٧٥ .

(١٨) من وحي المسيح، ص ٣٢ – ٣٣.

(١٩) من وحي المسيح، ص ٣٢.

(٢٠) المرجع السابق، ص ٣٢ .

(٢١) المسرة، قيصر صادر، ص ٨٤٦ .

(٢٢) قاموس الكتاب المقدس، ص ١١٠٦ – ١١٠٧ .

(٢٣) تفسير إنجيل متى جـ١، د. وليم باركلي، تعريب د. القس فايز فارس، ص ٥٦

وانظر أيضاً إقرار الإيمان الوستمنستري، دار الثقافة، ص ٥٥، ط١، سنة ١٩٧٨.

(٢٤) تفسير رسالتا غلاطية وأفسس، د. وليم باركلي، تعريب د. عبد المسيح اسطفانوس، ص ٥٥ – ٥٦ .

(٢٥) مصادر الوحي الإنجيلي، الأب يوسف الحداد، جـ٢، ص ٦٠٩ – ٦١٢ ملخصاً.

(٢٦) حياة المسيح، عباس محمود العقاد، ص ١٢، ط، دار الهلال.

(٢٧) مصادر الوحي الإنجيلي، جـ٢، ص ٥، ٦.

(٢٨) تفسير إنجيل متى، د. وليم باركلي، تعريب د. القس فايز فارس، جـ١ .

(٢٩) المسيح في الأناجيل ص ٤٩، ٦٨، ١٢١ .

(٣٠) المسيح في الأناجيل، ص ١٢٣ نقلاً عن:

Ethelbert Stouffer, Jesus and The wilderness Community at Qumran,p. 16 .

(٣١) مصادر الوحي الإنجيلي، جـ٢، ص ٦١٤ .

(٣٢) المسيح في الأناجيل، ص ١٣٣ .

(٣٣) المرأة في الكنيسة والمجتمع، د. القس صموئيل حبيب، ص ٥٤ - ٦٠، ط١، سنة ١٩٨٨ .

(٣٤) مصادر الوحي الإنجيلي،جـ٢، ص ٦١٤ - ٦١٨.

(٣٥) المسيح في الأناجيل، ص. ٧ نقلاً عن: J.T. Milik; Ten Years of discovery in the wilderness (London: S.C.M. press, 1969), p. 114.

(٣٦) المسيح قادم، ص ٢٤٤ .

(٣٧) مؤلفات في الميزان، ص ١٢٨ - ١٢٩،

هدية مجلة منار الإسلام، عدد ٥ سنة ١١، دولة الإمارات العربية.

(٣٨) على سبيل المثال يعتبر ريمون براون «أن لا أساس لها من الصحة» راجع

Raymond E. Brown, Apocrypha, Dead Sea Scrolls, Other Jewish Literature, Jerome Bible Com mentary, 68 : 85

المسيح في الأناجيل، ص ١٣٣ .

(٣٩) المسيح في الأناجيل، ص ٦٨ .

(٤٠) مصادر الوحي الإنجيلي، جـ٢، ص ٥٥ .

(٤١) الأحجار تتكلم، ص ١٣٣ .

(٤٢) دائرة المعارف الكتابية، جـ٢، ص ٨٥ – ٩٨ .

(٤٣) دائرة المعارف الكتابية، جـ١، ص ٣٠١ – ٣٠٣.

(٤٤) حياة المسيح، ص ١٢.

(٤٥) مـا يـقـال عن الإسـلام، ص ١٢٠، ط دار الـهلال.

(٤٦) مـطلـع الـنـور، ص ٩٥، ٩٧، ط دار الـهـلال.

الفصل الثالث

المسيح في الناصرة

نأتي هنا إلى الإجابة الثالثة والأخيرة على سؤالنا: أين قضى المسيح الفترة من ١٢ - ٣٠ من عمره؟ وقد رأينا في الصفحات السابقة أن المسيح لم يذهب إلى الهند، وأيضاً لم يتتلمذ على يد الأسينيين.

وهنا نؤكد أن المسيح قد عاش هذه الفترة من عمره في الناصرة.

الناصرة:

اسم عبري ربما معناه «القضيب أو

الحارسة أو المحروسة أو المحبوسة». ذكرت في مت ٢: ٢٣، لو ١: ٢٦ .

وهي مدينة في الجليل (مر ١: ٩). في الجزء الشمالي من الجليل، وهي تقع على جبل مرتفع (لو ٤: ٢٩). وتبعد ١٤ ميلاً إلى الغرب من بحيرة طبرية، ١٩ ميلاً شرقي عكا، ٨٦ ميلاً إلى الشمال من القدس... ولم تكن الناصرة ذات أهمية في الأزمنة القديمة، لذلك لم يرد لها أي ذكر في العهد القديم، ولا كتب يوسيفوس، ولا الوثائق المصرية والأشورية والحثية والأرامية والفينيقية السابقة للميلاد. وأول ما ذكرت في الإنجيل، وكانت حتى ذلك الحين محتقرة (يو ١: ٤٦) وقد ذكرها العهد الجديد ٢٩ مرة»(١)

الأدلة على أن المسيح قد عاش في الناصرة:

(١) ما جاء في الأناجيل[×]

أ- ففي الناصرة بشر الملاك العذراء مريم بأنها ستكون أم المسيح «وفي الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف واسم العذراء مريم» (لو ١: ٢٦ - ٢٧).

ب- وإلى الناصرة رجع المسيح مع يوسف ومريم بعد العودة من مصر «وأتى وسكن في

× «أنها العمدة التي اعتمد عليها قوم هم أقرب الناس إلى عصر المسيح، وليس لدينا نحن بعد قرابة ألفي سنة عمدة أحق بالاعتماد... أنها العمدة الوحيدة في كتابة ذلك التاريخ (تاريخ المسيح)، (حياة المسيح- عباس العقاد، ص ١٧٦).

مدينة يقال لها ناصرة لكي يتم ما قيل بالأنبياء إنه سيُدعى ناصرياً» (مت ٢: ٢٣).

جـ- وفي الناصرة قضى المسيح الفترة السابقة لبدء خدمته العلنية.

«ولما أكملوا كل شيء حسب ناموس الرب رجعوا إلى الجليل إلى مدينتهم الناصرة، وكان الصبي ينمو ويتقوى بالروح ممتلئاً حكمة وكان نعمة الله عليه» (لو ٢: ٣٩ - ٤٠).

«وكان أبواه يذهبان كل سنة إلى أورشليم في عيد الفصح، ولما كانت له اثنتا عشرة سنة صعد إلى أورشليم كعادة العيد.... ثم نزل معهما وجاء إلى الناصرة وكان خاضعاً لهما» (لو ٢: ٤١ - ٤٢، ٥١) وهذا الخضوع يعبر عن مسلك يسوع في الناصرة في الفترة التي تبعت ذلك أي بعد الاثنتا عشرة سنة حتى الثلاثين من عمره.

د- وفي مجمع الناصرة كان المسيح يمارس عبادته «وجاء إلى الناصرة حيث كان تربي ودخل المجمع حسب عادته يوم السبت وقام ليقرأ» (لو ٤: ١٦).

وطبعاً المقصود بكلمة «عادته» الشيء الذي تعود عليه في السنين السابقة لهذا القول، أي قبل أن يبدأ المسيح خدمته الجهارية، حيث أنه لم يستقر بالناصرة بعد ذلك، بل قد رُفض المسيح في الناصرة مرتين (مت ٤: ١٣، مت ١٣: ٥٤ - ٥٨، مر ٦: ١ - ٦، لو ٤: ٢٨ - ٣١).

وهذه أدلة واضحة على أن المسيح قد قضي الفترة السابقة لبداية خدمته في الناصرة، وقد بدأ المسيح خدمته الجهارية في الثلاثين من عمره (لو ٣: ٢٣).

٢ - بهذه الحقيقة شهد كثيرون ممن عرفوه

مت ٢١: ١١ «فقالت الجموع هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل».

يو ١: ٤٥ «فيلبس وجد نثنائيل وقال له: وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء يسوع ابن يوسف الذي من الناصرة».

٣ - دُعي المسيح بالناصري نسبة إلى الناصرة.

فهكذا دعاه بطرس (أع ٢: ٢٢، أع٣: ٦)، وبولس (أع ٢٦: ٩)، والمسيح نفسه (أع ٢٢: ٨) وبرتيماوس (مر ١٠: ٤٧) وآخرون (يو ١٨: ٥، لو ٤: ٣٣ - ٣٥)، وهكذا كتب على الصليب (يو ١٩: ١٩).

٤ - في الناصرة كان المسيح يمارس حرفة النجارة، وبهذا عرفه أهل الناصرة.

مت ١٣: ١٥، ٢٣، مر ٦: ٣ «أليس هذا هو ابن النجار».

فيسوع كان يمارس حياته كأحد العامة بعد موت يوسف كنجار يصنع المحاريث والأنيار، ومنها تحدث المسيح عن حمل النير «احملوا نيري».

ويصور هذا عبد الحميد جوده السحار قائلاً: «عاد عيسى إلى الناصرة، واستأنف العمل في حانوت يوسف، كان حاضراً بجسمه، أما روحه فكانت تتصل بخالق السماء... أكب على عمله في حانوت يوسف، وأخذ يُشكل قطعة الخشب التي في يده في مهارة، ويبذل جهده ليجعلها ملساء، أنها ستوضع حول رقبة ثور ثم يشد إلى المحراث، فإذا كانت خشنة آذته، ليخفف من آلام ثور من الثيران في حقل من حقول الجليل المترامية .... كانت حياته رحلة، وُلد في بيت لحم، ثم عادت به أمه إلى الناصرة، وما استقر بها حتى جاء الأمر بالخروج، فهرب

يوسف ومريم به إلى مصر، وما درج على أرضها حتى عاد إلى الناصرة، يخرج في المواسم إلى أورشليم. كانت حياته الأولى تتخللها فترات من الراحة والاستقرار أما رحلة اليوم فلن تعرف الراحة سيذهب من قرية إلى قرية. ومن جبل إلى جبل داعياً بني إسرائيل إلى ربه... وغادر الناصرة»(٢)

المراجع

(١) قاموس الكتاب المقدس، ص ٩٤٦ - ٩٤٧ .

(٢) المسيح عيسى بن مريم، عبد الحميد جوده السحار، ص ٦٢، ٦٤، ٨٧

الفصل الرابع

لماذا سكت الكتاب المقدس عن هذه الفترة؟

إن كتَّاب العهد الجديد عندما سجلوا بالوحي الإلهي (٢تي ٣: ١٦) أسفار العهد الجديد، لم يكن هدفهم أن يقدموا وصفاً تفصيلياً لحياة المسيح منذ الميلاد إلى القيامة.

ففي إنجيل متى نجد في الأصحاحين الأولين: البشارة بميلاد المسيح (مت ١: ١٨ - ٢٣) ثم ميلاده (مت ٢: ١) ومجيء المجوس من المشرق (مت ٢: ١ - ١٢) ثم ذهاب المسيح مع يوسف والعذراء مريم إلى مصر والرجوع إلى الناصرة بعد موت هيرودس (مت ٢: ١٣ - ٢٣). ثم بدء كرازة المسيح.

وفي إنجيل لوقا نجد قصة الميلاد (لو ٢: ٨ – ٢٠)، ثم ختان المسيح (لو ٢: ٢١)، فالرجوع إلى الناصرة (لو ٢: ٣٩ – ٤٠) ثم الصعود إلى أورشليم وعمر المسيح اثنتا عشرة سنة (لو٢: ٥١ – ٥٢) ثم بدء كرازة المسيح العلانية وعمره حوالي ثلاثين عام (لو ٣: ٢٣).

أما إنجيلي مرقس ويوحنا فلم يسجلا شيئاً عن طفولية المسيح وشبابه، بل بدأا بكرازته.

أي أن الكتاب المقدس قد صمت عن فترة تمتد حوالي ثمانية عشر عاماً من حياة المسيح.

«فمن الواضح أن العهد الجديد لم يحاول أن يعطي قصة كاملة عن حياة يسوع، إذ أن هدف الأناجيل لم يكن هدفاً روائياً، لأن الذين كتبوا هذه الكتب لم يحاولوا أن يقدموا

قصة حياة يسوع لكي يشبعوا رغبة محب لاستطلاع. بل قدموا بعض الحوادث والقصص التي تروي لنا ما قام بعمله يسوع الناصري... وقد كان هدفهم أن يشرحوا لنا أن يسوع الناصري الذي وُلد من مريم العذراء هو يسوع المسيح المسيا المنتظر المخلص الذي يخلص العالم من خطاياه، المسيا الذي تنبأت عنه الكتب المقدسة.

فكتَّاب العهد الجديد لم يكن في قصدهم تقديم قصة تشمل كل تصرفات يسوع المسيح الداخلية والخارجية، بل أرادوا أن يصفوا لنا الإنسان يسوع الناصري الذي تقابل معه بعضهم في أثناء حياته على الأرض، فرأوا فيه ليس فقط الإنسان يسوع الناصري ابن مريم، بل رأوا فيه أيضاً المسيح ابن الله الحي »(١)

اعتقد أن هذا يعطي إجابة عن السؤال «لم نعد نسمع له صوتاً حتى بلغ الثلاثين من عمره، ولا ندري كيف وأين سلخ هذه الأعوام الثمانية عشر»(٢)

فقد قضاها في الناصرة مع أهله وعشيرته كطفل وتعلم في الكتّاب اليهودي، وكان يذهب إلى الهيكل كل يوم سبت ومارس حرفة النجارة حتى أتى الوقت ليبدأ ارساليته.

ويرى د. جورج فورد «أن حوادث طفولية يسوع أظهرت ملامح طبيعته الإلهية الضرورية لأجل صلاحيته كمخلص، فصار من الضروري أن تُحجب هذه الملامح مدة كافية لأجل ايضاح طبيعة إنسانيته الحقيقية. لذلك حُجب لاهوته عن عشرائه مدة سني استعداده الثلاثين إلى أن برز للخدمة بعد كمال استعداده، فتجددت براهين لاهوته

الحقيقي فيما بقي من حياته بين الناس.
وهذا السكوت من أهم براهين خطأ من يزعمون أن عمل يسوع الأعظم والأهم كان تقديمه قدوة للناس، لأجل التمثل به، فلو أن هذا كان صحيحاً لكان من الواجب اعلان ما قاله يسوع وفعله في السنين التي قضاها في العيشة العادية، كأحد العامة يمارس مهنته كنجار في الناصرة. فلم يقصد البشيرون تدوين حوادث حياة المسيح تاريخياً، بل قصدوا بيان كونه المصلح والمخلص، لذلك اكتفوا بالتاريخ الذي ابتدأ من مباشرته أعماله علانية ورسمياً بعد بلوغه سن الثلاثين »(٣)

ونختم هذا الجزء بما كتبه الشيخ عبد الوهاب النجار:

« سكتت الأناجيل عن المسيح من عهد أن كانت سنه اثنتي عشر سنة إلى أن بلغ تسعا

وعشرين، فأين كان يسوع في هذه المدة وهي سبعة عشرة سنة؟

أما الأناجيل فساكتة عن ذلك وإن كان في بعضها ما يشير إلى أن أباه وأمه سكنا في الناصرة. ولكن كيف يبقى ساكناً لا يحاج العلماء والكتبة في الكتاب وتفسيره في الأعياد كما هي عادته. ولم يُذكر أن رجع إلى الهيكل أو عمل عملاً يتعلق بالدين... أما الذي أعول عليه في هذا الأمر فهو تفويض علم شأنه في السبعة عشر عاماً إلى الله تعالى»(٤)

وأنا أعلن أن الله تعالى أعلن من خلال كتابه المقدس أنه عاش في الناصرة حيث تربى (لو ٤: ٢٦) وقد عاش في الناصرة لأنها:

١ – مسقط رأس يوسف ومريم (لو ٢: ٣٩).

٢ – حتى يتم تحقيق النبوة «وأتى وسكن

في مدينة يقال لها ناصرة لكي يتم ما قيل بالأنبياء سيدعى ناصرياً» (مت ٢: ٢٣).

٣ - حتى يصحح الله المفهوم الخاطيء المعروف عن الناصرة «فيلبس وجد نثنائيل وقال له وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء يسوع ابن يوسف الذي من الناصرة. فقال له نثنائيل أمن الناصرة يمكن أن يكون شيء صالح. قال له فيلبس تعال وانظر» (يو ١: ٤٥ - ٤٦).

أما ماذا كان يسوع يعمل في تلك الفترة(٥)؟ فنرى أنه:

١ - كان ينمو وينتقل من الطفولة إلى الصبا إلى الشباب إلى الرجولة في بيت رجل تقي مؤمن.

٢ - كان يؤدي واجبه نحو الأسرة، ويبدو أن يوسف مات ويسوع بعد صغير، وكان من

الطبيعي أن يتولى المسيح رعاية شئون الأسرة، ويعمل في دكان النجارة في الناصرة.

٣ - لقد قضى يسوع وقتاً كبيراً في التأمل والصلاة والاستعداد الروحي للخدمة العظيمة التي كان عليه أن يقوم بها..

المراجع

(١) تاريخ الفكر المسيحي، القس حنا الخضري جـ١، ص ١٤٥، ٢٠٢ - ٢٠٣ .

(٢) إسرائيل بنت بريطانيا البكر، د. محمد علي الزغبي، ص ٦٠ .

(٣) سيرة المسيح، د. چورچ فورد، ص ٦٢.

(٤) قصص الأنبياء، الشيخ عبد الوهاب النجار، ص ٤١٦ .

(٥) تفسير إنجيل متى، د. وليم باركلي، تعريب د. القس فايز فارس، جـ١، ص ٤٥ .

الفصل الخامس

المسيح الناصري

سيُدعى ناصرياً [×](مت ٢: ٢٣)

لقد مر بنا في الكتاب أن يسوع دعي بالناصري نسبة إلى الناصرة، وما كنت أستطيع أن أنهي هذا البحث دون مناقشة اتهام يُثار حول هذه الآية، حيث يتهم

×«إن أسفار الأنبياء، لم تقل شيئاً عن هذا، وإن العلماء متفقون على أن مصدر هذه النبوة غير معلوم ويستطيع القارئ أن يتصفح أسفار العهد القديم بحثاً عن هذه الشهادة ولن تكون نتيجة بحثه سوى العودة بخفي حنين. إننا أمام شهادة لايعرف لها أصل» المسيح في مصادر العقيدة المسيحية، م.أحمد عبد الوهاب ،ط١ ١٩٨٨ ، مكتبة وهبة.

البعض(١) الكتاب المقدس بالتحريف لعدم وجود هذه النبوة في العهد القديم ويقول آخرون(٢) لعلها في الأسفار المفقودة.

وحقيقة الأمر، أنه لا توجد نبوة صريحة في العهد القديم بهذا المعنى، وقد أجمع المفسرون على أن المقصود بما جاء في (مت٢: ٢٣) «وأتى وسكن في مدينة يقال لها ناصرة لكي يتم ما قيل بالأنبياء إنه سيدعى ناصرياً» هو ما جاء في (إش ١١: ١) «ويخرج قضيب من جذع يسى وينبت غصن من أصوله» وعندما ندرس نبوات العهد القديم يجب أن نضع في اعتبارنا كما يرى جون. ف. والفورد «أن كثيراً من النبوات التي تتصل بيسوع المسيح واضحة جداً خاصة عندما يُنظر إليها من خلال اعلان العهد الجديد حيث يعطى اتمامها ضوءاً على

قصد النبوة في العهد القديم. والنبوة عن المسيا على كل حال لها مشاكل معينة ملازمة.

١ - أن لغة النبوة عن المسيا غالباً غامضة والقصد الإلهي من هذا الغموض أن يجعل النبوة مفهومة فقط من المؤمنين الحقيقيين بالله الذين يعلمهم الروح القدس. وهم لذلك يستطيعون أن يفطنوا للشواهد التي تتصل بالنبوات عن المسيا، وكثيراً من هذه الشواهد لا يمكن تفسيرها إلا في ضوء المضمون الكامل لكلمة الله.

٢ - كثيراً ما تستعمل الاستعارة والمجاز في النبوة عن المسيا، وليس المعنى بالضرورة غير مؤكد، فكثيراً ما تعطي الاستعارة فكراً واضحاً حتى لو احتاج الشاهد إلى تفسير، مثلاً عندما يذكر الكتاب

المقدس نبوة مثل «ويخرج قصيب من جذع يسى» (إش ١١: ١)، ومع أن اللغة المجازية مستعملة فالحق الذي تحمله واضح.

٣ - في النبوة عن المسيا غالباً يعتبر المستقبل ماضياً أو حاضراً والعبراني كثيراً ما يستعمل الفعل التام في النبوات والنبوات العظيمة في (إش ٥٣) مثلاً هي في معظمها في هذا الفعل التام.. إن النبوة عن المسيا في الفعل التام هي مستقبل مؤكد.

٤ - النبوة عن المسيا لا تأخذ في الاعتبار مرور الزمن بين الحوادث (فالنبوة لا تتضمن حتماً كل الخطوات بين الحوادث العظيمة موضوع النبوة)، يوضحها اقتباس المسيح في (إش ٦١: ١ - ٢ وفي لو ٤: ١٨ - ١٩). ففي إشعياء يربط المجيء الأول والثاني للمسيح بدون أية دلالة على فترة من الزمن بينهما.

وعندما يُفهم الأمر فهماً صحيحاً فإن مسألة تفسير النبوات عن المسيا لا تثير مصاعب كثيرة.(٣)

مما سبق نرى أن هذه النبوة عن المسيح يمكن تفسيرها في ضوء المضمون الكامل لكلمة الله وأن اللغة المستعملة فيها لغة مجازية. وفيما يلي سنوضح أهم التفاسير التي كتبت في هذه النبوة، موجزاً إياها في ثلاثة آراء:

(١) الرأي الأول(٤)

إن متى يشير إلى الآية الواردة في إش ١١: ١ «ويخرج قضيب من جذع يسى وينبت غصن من أصوله ويحل عليه روح الرب». لأن كلمة غصن في الأصل العبري ناصر.

وقد ذُكر المسيح كالغصن في العهد القديم سبع مرات هي:

إش ٤ : ٢ « في ذلك اليوم يكون غصن الرب بهاءً ومجداً ».

إش ١١ : ١ « ويخرج قضيب من جذع يسى وينبت غصن من أصوله ».

إش ٥٣ : ٢ « نبت قدامه كفرخ وكعرقٍ من أرض يابسة ».

أر ٢٣ : ٥ - ٦ « ها أيام تأتي يقول الرب وأقيم لداود غصن بر... في أيامه يخلص يهوذا ويسكن إسرائيل آمناً ».

زك ٣ : ٨ « لأني هأنذا آتي بعبدي الغصن ».

زك ٦ : ١٢ « هكذا قال رب الجنود هوذا الرجل الغصن اسمه ومن مكانه ينبت ويبني هيكل الرب ».

أر ٣٣ : ١٥ « في تلك الأيام وفي ذلك الزمان أنبت لداود غصن البر فيجري عدلاً وبراً في الأرض ».

وقد دعا الأنبياء المسيح بالغصن لأنه سيطلع من جذع يسى، فالغصن هو فرع من الجذع، والجذع هو يسى الذي منه خرج داود، الذي جاء من نسله المسيح.

«وإنجيل الله الذي سبق فوعد به أنبيائه في الكتب المقدسة عن ابنه الذي صار من نسل داود من جهة الجسد» (رو ١: ٢ – ٣).

(٢) الرأي الثاني[٥]

إن كلمة «ناصرة» مشتقة من كلمة عبرانية «نباته صغيرة» وقد كانت الناصرة محتقرة من بني إسرائيل، حتى أن نثنائيل قال: «أمن الناصرة يمكن أن يكون شيء صالحx» (يو ١: ٤٦).

فالأنبياء صرحوا بأن المسيح يكون

xكانت الحامية الرومانية المنوط بها منطقة الجليل تعسكر فيها، مما جعل الناصرة محتقرة من كثيرين من اليهود «التفسير التطبيقي للعهد الجديد» ص ١٣.

ناصرياً أي محتقر كما في (مز ٢٢: ٦، مز٦٩: ٩ - ١٠، إش ٥٢، ٥٣، زك ١١ - ١٣). والبشير متى استعمل لفظة «ناصرياً» للدلالة على احتقاره ورذله (إش ٥٣: ٢ - ١٢). فالقول ناصري هو بمعنى «محتقر كعرق من أرض يابسة لا صورة له ولا جمال» وهذه الآية تدل على عمق اتضاع يسوع المسيح.

(٣) الرأي الثالث(٦)

يتفق هذا الرأي مع الرأيين السابقين على أن ما جاء في مت ٢: ٢٣ مبني على ما جاء في إش ١١: ١ (أي أن مت ٢: ٢٣ اتمام وتحقيق للنبوة التي جاءت في إش ١١: ١) ولكن الاختلاف في معنى الكلمة فكلمة غصن في الآية هي في العبرانية «نصر» وهي والاسم ناصرة من أصل واحد.

والآراء السابقة تقول أن الناصرة كانت

أيام المسيح قرية محتقرة، ونِصر المترجمة «غصن» تدل على الحقارة والضعف، فتمت النبوة بسكنى يسوع الغصن «نصر» في الناصرة، فنسب إليها ودعي ناصرياً ولكن هذا الرأي يقول «إن القول بأن الناصرة كانت في أيام المسيح قرية محتقرة هو قول غير حقيقي، وأن المسيح لم يدع ناصرياً لأن الناصرة قرية محتقرة.

فما هو معنى كلمة «ناصرة»؟

إن معنى كلمة «ناصرة» كما جاء في اللغة العبرية يتوقف على الحركات (كما هو في العربية) فهي أما تكون:

١ - الفتحة الممالة مثل لفظة A بالإنجليزية، وكما تلفظ باللغة العامية في بَيتِ، زَيت.

٢ - الفتحة الصريحة كما في نَصَر.

١ - حركة الأمالة:

وهي وحدها الموجودة في العهد القديم لكلمة نصر. ومشتقاتها كما جاءت في

إش ١١: ١، إش ١٤: ٩، إش ٦٠: ٢١ وتُرجمت غصناً.

تث ٣٢: ١٠، تث ٣: ٩ وتُرجمت صان.

دا ١١: ٧ وتُرجمت فرعاً.

مز ١٤١: ٣ وتُرجمت احفظ.

إش ٢٧: ٣ وتُرجمت حارس.

أر ٣١: ٦ وتُرجمت نواطير.

ومن الآيات السابقة نرى معنيين:

١ - الامتداد والانتشار مع النضارة: ويقابل كلمة نصر العبرانية بهذا المعنى « نَضَر » العربية، فيقال: نَضَر الشجر أي صار ذا رونق واشتدت خضرته، وعلى هذا

المعنى تكون قد نابت الصفة عن الموصوف في نبوة إش ١١: ١ أي أن صفة النضارة أطلقت على غصن الشجرة الناضر، فيكون إشعياء قد أراد غصناً ناضراً أو سمي الغصن ناضراً. وعلى هذا الرأي نترجم الآية كما يأتي «يخرج قضيب (متسلط) من جذع يسى وناضراً (أو غصن ناضر) من أصوله ينبت» فيكون المراد من النبوة ليس الحقارة، بل النضارة ويراد جمال المسيح وامتداد مملكته.

قال دين فرار في كتاب «حياة المسيح» بالإنجليزية ص ٤٧ ما تعريبه «يُحتمل أن تكون قد سُميت بالناصرة (ناصرة أو غصناً) لكثرة غاباتها ونضارة أغصانها».

٢ - الحراسة والنظارة:

ويقابل نصر العبرية، نطر العربية، ومن ثم إذا كان لابد من أن نسند آية متى إلى آية

في العهد القديم فتنسب إلى أرميا ٣١: ٦ «لأنه يكون يوم ينادى فيه النواطير في جبال أفرايم قوموا فنصعد إلى صهيون إلى الرب إلهنا» والكلمة المترجمة «نواطير» هي في العبرية «نصريم» بصيغة الجمع أي «ناصريون، والكلمة المترجمة «ينادون» هي في الأصل «قراو» أي يقرأون بصوت عال فإن صح هذا، كانت النبوة قد تمت في يسوع الناصري، أول الناصريين الذي وقف في مجمع الناصرة وقرأ بصوت جمهوري نبوة إش ٦١: ١ -٢ «روح الرب عليّ لأنه مسحني... ثم قال «قد تم هذا المكتوب في مسامعكم» (لو ٤: ١٦ - ٢١).

فيكون قد أتم نبوة إشعياء التي قرأها، ونبوة أرميا أنه يقرأ وكان أول الناصريين أو الحراس أو النواطير الذين نادوا ونادى بعده رسله ولا يزال النصارى أو الناصريين إلى اليوم يقرأون وينادون بصوت جمهوري

الخطاة للرجوع إلى الرب إلى أن يأتي إليه كل بشر وتصير ممالك العالم لربنا ولمسيحه وهم الآن يحرسون كرمه بغيرة وأمانة.

ويؤيد القول أن اسم «الناصرة» مأخوذ من الحراسة أو النطارة ما قال د. مرل في كتابه «الجليل في زمن المسيح»، ما تعريبه «أن اسم الناصرة مأخوذ من جبل سعين الواقف فوقها كالحارس أو الناطور المشرف على معظم أرض الموعد».

ثانياً: أن تكون حركة «نصر» العبرية الفتحة الصريحة

إن اللغة العبرية (مثل العربية أيضاً، كانت تُقرأ بلا حركات، وأن الحركات قد وضعت بعد المسيح بزمان طويل. كما أن الحركات العربية لم توضع إلا بعد الإسلام

بنحو نصف قرن). ومن هنا لا يُستبعد أن تكون حركة نصر العبرية (والمشتق منها اسم الناصرة) الفتح الصريح، ومن ثم يكون معناها كنصر العبرية وعليه تترجم نبوة إشعياء ١١: ١ «يخرج قضيب (متسلط) من جذع يسى وناصر (مخلص) من أصول ينبت» وعلى هذا لا يكون مت ٢: ٢٣ قد أشار إلى نبوة معينة، بل إلى معنى اسم «الناصرة» وهو تفنن في اللغة موجود في كل لغة ويكثر في اللغات السامية خصوصاً، فتكتب لشخص اسمه «أديب» أيها «الأديب» وبذلك تريد اسمه ومعناه، قالت أبيجايل لداود عن زوجها نابال «لأنه كاسمه هكذا هو نابال اسمه والحماقة عنده» (١صم ٢٥: ٢٥).

أما كون متى لم يُرد آية معينة فواضح من قوله «لكي يتم ما قيل بالأنبياء» ومضمون كل الأنبياء، بل كل العهد القديم أن

يسوع سيدعى ناصرياً، أي ناصراً. كمعنى اسم الناصرة مدينته التي نُسب إليها هو والمؤمنون به. وهو وحده رجاء البشرية وناصرها ومخلصها وليس بأحد غيره الخلاص».

- كتب الأستاذ عباس محمود العقاد عن طائفة كانت موجودة أيام المسيح «والمهم في أمر النذريين بالنسبة إلى السيد المسيح أن النبي يحيى المغتسل (يوحنا المعمدان) كان علماً من أعلامهم المعدودين وكان المسيح يعتمد على يديه أو يأخذ العهد عليه، وأن بعض المؤرخين يحسب السيد المسيح من النذريين× ويلتبس عليه الأمر بين النذري

× «وإطلاق صفة Nazoraios or Nazareen على عيسى وعلى تلاميذه لعلها لاتدل على النسبة إلى الناصرة، كما يتبادر إلى الذهن، ولكن تعني الناظر وهي أقدم تسمية للمندائين» (المسيحية بين النقل والعقل) د. عبد الفتاح أحمد الفاوي

والناصري، وهما في اللفظ العبري متقاربان، ومن هؤلاء المؤرخين من يزعم أنه لم يكن قط من الناصرة، بل يزعم أن الناصرة لم يكن لها وجود لأنها لم تُذكر قط في كتب العهد القديم. ولكنّ الأرجح في اعتقادنا أن الناصرة نفسها كانت تسمى نذيرة بمعنى الطليعة عندما كانت على تخوم الأرض التي فتحها العبريون قديماً، وأنها كانت مرقباً صالحاً للاستطلاع لأن التلول التي تحيط بها تكشف جبل الشيخ والكرمل والمرج المعروف باسم ابن عمير، وبهذا تزول الصعوبة التي اعترضت المفسرين الغربيين على الخصوص' [٧]

المراجع

١ – اظهار الحق، رحمت اللـه خليل الهندي، ص١٥٧، ٢٥٣.

٢ – إسرائيل بنت بريطانيا البكر، ص٦٥(فـي الإنجيـل سـيدعى ناصريـاً) ولـم نجـد فـي جميـع أسـفار العهـد القديـم القانونية والثانوية مرجعاً لهـذه البشـارة ولعلهـا فـي الأسـفار المفقودة.

٣ – يسـوع المسـيح ربنـا، جـون ف.والفـورد، تعريـب حزقيال بسطوروس. ص٩٤-٩٦.

٤، ٥ – مراجع الرأي الأول والثاني

أ- تفسير إنجيل متى. د. وليم باركلي. جـ ١. ص٤٥.

ب – تفسـير إنجيـل متــى. القمــص ســرجيوس. جـــ١. ص٦٧-٦٨.

جـ – تفسير إنجيل متى. بنيامين بنكرتن. ص٣٢.

د – تفسير إنجيل متى. د. وليم إدي. ص٢٤.

هـ – تفسير العهد الجديد في مجلد واحد. ص٤.

و – تفسير سفر إشعياء. هـ أ. ايرنسايد. تعريب س. ف. باز. ص٢٦. دار الحياة. الأردن.

ز – سفر إشعياء مفصلاً آية آية. الأخ ناشد حنا. جـ١. ص ٥٦ –٥٧.

ح – تفسير سفر زكريا. الأخ رشاد فكري. ص ٦٧ – ٦٨.

٦ – مجلة الشرق والغرب. مايو سنة ١٩٢٦. ص ١٣٦– ١٣٩. مقالة تحت عنوان "رد افتراء" القس أسعد منصور. الناصرة.

٧ – أ – عبقرية المسيح. ص ٣٦.

ب – حياة المسيح. ص ٥٠ – ٥١.

جـ – مطلع النور. ص٩٦.

محتويات الكتاب

السنوات المجهولة

الفترة من ١٣-٣٠ من عمر المسيح وقد
صمت عنها الكتاب المقدس .
فلماذا هذا الصمت المريب ؟!
وأين قضى المسيح هذه الفترة ؟!
هل في دير بوذى في الهند ؟
أم في وادي قمران مع الأ
أم في ....
هذا ماسوف يجيب عنه ه